خمس رسائل في

الاهتمام بالتوحيد

ووجوب الاعتناء به

(وجوب تعلم التوحيد)، (التوحيد ليس ترك الشرك فقط)
(وجوب العمل بالتوحيد)، (وجوب الدعوة إلى التوحيد)
(وجوب الصبر على التوحيد)

تقديم ومراجعة
فضيلة العلامة الدكتور

عبد الله بن عبد المحسن الترکي

جمع وإعداد وترتيب

يحيى اليزيدي الغرافي

دار ابن رجب

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م

اسم الكتاب: خمس رسائل في الاهتمام بالتوحيد
اسم المؤلف: يحيى الجبوري العراقي
القطع: ١٧×٢٤سم
عدد الصفحات: ٢٢٨ صفحة
سنة الطبع: ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م

رقم الإيداع: ٢٠٢٣/٢٧٦١٨

الترقيم الدولي: 978-977-390-284-3

دار ابن رجب
طبع. نشر. توزيع

المركز الرئيسي: فارسكور- تليفاكس: ٠٠٢٠٥٧٣٤٥٤٤٥٥ - جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر- هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥
Web site: www.ibnragb.com
Email: ibnragb@hotmail.com

تقديم فضيلة العلاّمة الدكتور

عبد الله بن عبد المحسن التركي - حفظه الله -

لكتاب: " خمس رسائل في الاهتمام بالتوحيد"

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آلِه وأصحابِه وأتباعِه، إلى يوم الدين، أما بعد .

فإن من أعظم الأعمال الصالحة، اهتمامُ المسلم بدينه، وخدمته له: (بياناً، وتبليغاً، ودفاعاً) .

وذلك يتطلّب فقه المسلم بدينِه، وذلك من أعظم نعم الله عليه: ((ومَن يُرد اللهُ بهِ خيراً يفقّه في الدين)).

وفي مقدّمة أحكام الدين ما يتعلق بالعقيدة، وإفراد الله بالعبادة: إخلاصاً، واستقامة على هدي المصطفى، مُحمَّد بن عبد الله - عليه أفضلُ الصلاة، وأتمّ التسليم - .

وقد كان لذلك أولوية لدى العلماء المسلمين الربانيين، في دروسهم، ومواعظهم، ومؤلفاتهم، وبخاصة علماء أهل السنة والجماعة .

وذلك واضح كلّ الوضوح في دعوة المصلح المجدد، الإمام الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، ومن سبقه ولحق به من علماء السلف .

وهذا ما تجب العناية به، وإعطاؤه الأولوية في هذا العصر، الذي كثر فيه، تسلّط أعداء الإسلام عليه، وعلى أتباعه على الصراط المستقيم .

وأصبح همّ كثير من المسلمين مصالح الدنيا، والأخذ بما انتشر من وسائلها، والتساهل في شأن الإسلام: (عقيدة، وعبادة، وتعاملاً) .

وقد سرّني كثيراً اهتمام الأخ الفاضل الشيخ يحيى الجبوري العراقي، بالشأن العقدي، سواء في تعليقاته على "ثلاثة الأصول وأدلتها"، للإمام الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.

أو في هذا الإصدار الجديد: "خمس رسائل في الاهتمام بالتوحيد، ووجوب الاعتناء به".

ورجوعه فيه إلى علماء السلف، ومن أبرزهم الأئمة: ابن تيمية، وابن القيم، ومُحَمَّد بن عبد الوهاب، وعبد العزيز بن باز، وغيرهم، مما هو واضح في مصادر هذا الكتاب، الذي رغب مني التقديم له.

وقد اطلعتُ على الكتاب، فوجدتُه نافعاً ومفيداً .

والرسائل الخمس في الكتاب:

١. وجوب تعلم التوحيد .
٢. التوحيد، ليس ترك الشرك، فقط .
٣. وجوب العمل بالتوحيد .
٤. وجوب الدعوة إلى التوحيد .
٥. وجوب الصبر على التوحيد .

وما أُلحِق بها، في مسائل التكفير.

ووصيتي لكلّ مسلم العناية بهذا الموضوع، والاستفادة مما كُتب فيه، وتيسير معرفته للشباب المسلم، ليكون عاصماً عن الأخطاء، والتأثر بما ينشر في بعض وسائل الإعلام، ولتنشأ الأجيال المسلمة على العقيدة الصحيحة، علماً وإيماناً، وعملاً.

فالمؤمن الصادق، هو المتابع لخاتم الأنبياء، ومصطفاهم، مُحَمَّد بن عبد الله - عليه أفضل الصلاة والسلام -، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان .

وذلك، هو الصراط المستقيم، الذي يدعو المسلم ربّه بهدايته إليه في كلّ صلاة: ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)).

وليحمدَ اللهَ ويشكرَه الأخُ الشيخ يحيى الجبوري العراقي: أن وفقه اللهُ للاهتمام بذلك .

وعليه التعاون مع طلاب العلم، والدعاة إلى الله ودينه، وكل جهة لها علاقة بذلك، من وسائل التربية والتعليم، والإعلام، وغيرها، فيما يخدم الإسلام والمسلمين، ويؤصّل العقيدة

الصحيحة في نفوسهم، ارتباطاً بكتاب الله، وسنة رسوله، وفق الفهم الصحيح لهما، كما فهمه صحابة رسول الله، ومن تبعهم بإحسان .

وستكون الآثار بإذن الله إيجابية .

والأخ الشيخ يحيى الجبوري العراقي استفاد فيما توصل إليه، من تواصله مع كتب الأئمة الصالحين، وتواصله مع العلماء، وهذا مسلك فيه الخير الكثير .

وأية ملحوظة تبدو للقاريء على هذه الرسائل، وما أُلحق بها، فينبغي التواصل مع الأخ الجبوري، وإطلاعه عليها، للاستفادة منها .

فهدف المسلم، هو الحقّ، والصراط المستقيم: (علماً، واعتقاداً، وعملاً) .

وشكري، وتقديري للأخ الشيخ يحيى الجبوري معدّ هذه الرسائل، سائلاً الله له التوفيق، وحسن المثوبة، وأن أكون وإياه، ومَن أسهم في خدمة الاسلام، ممن أنعم الله عليهم، ووفقهم لما يحبه ويرضاه .

وصلّى الله، وسلّم على نبيِّنا محمّد، وعلى آلِه وأصحابِه وأتباعِه

د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

١٤٤٥/٤/٢٣هـ

وليحمد اللهَ ويشكرَه الأخُ الشيخ يحيى الجبوري العراقي: أن وفقه اللهُ للاهتمام بذلك .
وعليه التعاون مع طلاب العلم، والدعاة إلى الله ودينه، وكل جهة لها علاقة بذلك، من وسائل التربية والتعليم، والإعلام، وغيرها، فيما يخدم الإسلام والمسلمين، ويؤصّل العقيدة الصحيحة في نفوسهم، ارتباطاً بكتاب الله، وسنة رسوله، وفق الفهم الصحيح لها، كما فهمه صحابة رسول الله، ومن تبعهم بإحسان .
وستكون الآثار بإذن الله إيجابية .
والأخ الشيخ يحيى الجبوري العراقي استفاد فيما توصل إليه، من تواصله مع كتب الأئمة الصالحين، وتواصله مع العلماء، وهذا مسلك فيه الخير الكثير .
وأية ملحوظة تبدو للقارىء على هذه الرسائل، وما ألحق بها، فينبغي التواصل مع الأخ الجبوري، واطلاعه عليها، للاستفادة منها .
فهدف المسلم، هو الحق، والصراط المستقيم: (علماً، واعتقاداً، وعملاً) .
وشكري، وتقديري للأخ الشيخ يحيى الجبوري معدّ هذه الرسائل، سائلاً الله له التوفيق، وحسن المثوبة، وأن أكون وإياه، ومَن أسهم في خدمة الاسلام، ممن أنعم الله عليهم، ووفقهم لما يحبه ويرضاه .

وصلى الله، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

١٤٢٥/٤/١٣هـ

صورة عن تقديم فضيلة الشيخ للكتاب

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، ونستغفرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ، فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ:أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأشهدُ: أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران:١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ[1].

(١) رواه مسلم (١٩٦٣)، وأحمد (٣٢٧٥)، وابن ماجه (١٨٩٣)، وغيرهم، ويُنظَر لتفاصيل ذلك رسالةَ "خطبة الحاجة"، للعلاّمة الألباني، حيث قال ـ رحمه الله ـ في "تمام المنة" (ص٩): =

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب[٢]: إِذَا عَرَفتَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ بهذا؛ فيفيدك هذا فَائِدَتَيْنِ:

الأُولَى: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ عليك، وَرَحْمَتِهِ بك، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)) [يونُس: ٥٨] .

الثانية: الخوفُ الْعَظِيم؛ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَد يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُها وَهُوَ يَظُنَّ أَنَّهَا تُقَرِّبه إِلَى اللَّهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُك وَحِرْصُكَ عَلَى مَا يُخلّصك مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ[٣].

وللأسف فإن كثيراً ممن هداه اللهُ للتوحيد لا يفطن إلى تحقيق هاتين الفائدتين، على الرغم من: أنَّ مخالفتَهما وقوعٌ فيما حذّرنا الله منه في قوله: ((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ

= خطبة الحاجة كان رسول الله [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] يعلِّمها أصحابَه، وكان السلف يفتتحون بها كلامهم .

(٢) هو الشيخ الإمام المجدد مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ بنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيْمِيُّ (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ)، وُلد في العيينة، وسط نجد، لأسرة يُنسب إليها عدد من العلماء، وسافر إلى مكة والمدينة، لتحصيل المزيد من العلم، قام الشيخ بدعوة المسلمين للتخلّص من البدع والخرافات، وتحقيق توحيد الله عزّ وجل، والتقى بأمير الدرعية الإمام محمد بن سعود بن محمد آل مقرن، رحمه الله، الذي استقبل الشيخ؛ وعرض الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهّاب دعوته على الأمير محمد بن سعود؛ فقبلها، وتعاهدا على حمل الدعوة على عاتقهم، والدفاع عنها، والدعوة للدين الصحيح، ومحاربة البدع، ونشر كلّ ذلك في جميع أرجاء جزيرة العرب، فصلحت بفضل الله عقائد العامة، وزالت البدع، وتم الرجوع إلى القرآن والسنة، وصُحّحت أخلاق الناس؛ فانعدمت السرقات وحروب الفجور، وأصبحت الطرق أكثر أمناً وأماناً، وفي عام ١٢٠٦ هـ توفي الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهّاب في الدرعية، وكان قد بلغ من العمر نحو إحدى وتسعين سنة؛ فرحمه الله رحمةً واسعة .

المصدر: "حياة محمد بن عبد الوهّاب وحقيقة دعوته"، للأستاذ الدكتور سليمان الحقيل، ومصادر أخرى .

(٣) "كشف الشبهات" (ص١١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)) [الحديد: ١٦] .

قال الإمام البقاعي[٤]: ((وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ)) من اليهود والنصارى؛ ((فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ))؛ فبسبب طولِ المدّة قَسَتْ قُلُوبُهُمْ؛ وتصلَّبت، واعوجت؛ بحيث لا تتحرّك لطاعةٍ ولا لخير، وذلك جرَّهم إلى الهلاك باتباع الشهوات، وقسوةَ القلب: إنما تحصل من اتباع الشهوة، فالشهوة وصفاء القلب لا يجتمعان؛ كما في قولِه تعالى: ((وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ)) الآية [القصص:٤٥][٥].

وقال الإمام القرطبي[٦] في تفسيرها: أي: أننا أنشأنا قُرُوناً مِنْ بَعْدِ مُوسَى؛ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ الْعُمْرُ، حَتَّى نَسُوا ذِكْرَ الله، وعَهْدَهُ، وَأَمْرَهُ[٧].

ولأهمية الموضوع، استعنتُ باللهِ ورتَّبتُ خمسَ رسائل في "الاهتمام بالتوحيد، ووجوب الاعتناء به".. وهي :

---

(٤) هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط البقاعي، وُلِد في البقاع عام ٨٠٩ هـ، ورحل إلى القاهرة، ودرس الفقه والنحو، والقراءات، حتى برع في جميع العلوم، وأصبح من الأئمة المتقنين المتبحّرين في جميع المعارف، ومن أشهر مؤلفاته: تفسيره المسمى "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، و"تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي"، ولم يزل - رحمه الله - يكابد الشدائد والابتلاءات بسبب دعوته ومؤلفاته، حتى توفي في دمشق سنة ٨٨٥ هـ .
المصدر: "الأعلام"، للزركلي، ومصادر أخرى .

(٥) "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" (٤٤٨/٧)، للإمام البقاعي، بتصرّف واختصار .

(٦) هو الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر، وُلد بقرطبة بالأندلس عام ٦١٠هـ، وتوسع في دراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن، وانتقل إلى مصر، وتوفي فيها عام ٦٧١ هـ .
المصدر: "عظماء الإسلام" لمحمد سعيد مرسي، ومصادر أخرى .

(٧) "الجامع لأحكام القرآن" (٢٩١/١٣)، للإمام القرطبي .

١. وجوب تعلم التوحيد، والردّ على من أنكر ذلك .

٢. التوحيدُ ليس تركٌ للشرك، فقط .

٣. وجوبُ العمل بالتوحيد، والردّ على من أنكر ذلك .

٤. وجوبُ الدعوة إلى التوحيد، والردّ على من أنكر ذلك .

٥. وجوبُ الصبر على التوحيد، والردّ على من أنكر ذلك .

وهذه الرسائل مأخوذة مما قاله الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب في "ثلاثة الأصول": اعْلَمُ – رَحِمَكَ اللهُ –: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: الْعِلْمُ .

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ .

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ .

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ .

والدَّليلُ قولُه تعالى: ((وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) [سورة العصر][٨].

وقد نقلتُ كلامَ العلماءِ والأئمةِ في هذه الرسائل بشيءٍ من التصرّف والاختصار؛ وليس نصّاً حرفياً؛ لغرضِ التفهيم والتقريب، نسألُ اللهَ القبول .

واغتنمُ هذه الفرصة لتسجيل شكري لفضيلةِ شيخِنا الوالد العلاّمةِ الدكتور عبد اللهِ بن عبدِ المحسن التركي[٩]؛ فإنه لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ الناس،

---

(٨) "ثلاثة الأصول وأدلتها" (ص٧)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(٩) هو فضيلة العلاّمة الدكتورعبد الله بن عبدالمحسن بن عبد الرحمن التركي، وُلِد في مدينة (حرمة)، في منطقة سدير عام ١٣٥٩هـ، وتتلمَذ على عدد من كبار العلماء في زمن =

وذلك لرعايتِه الشرعيةِ والأبوية للكتابِ وجامعِه، ومراجعتِه وتقديمه له، والحقّ: أنه لولا توجيهات فضيلتِه وتصويباتِه وإرشاداته، لَما خرج الكتاب بشكلَه هذا، وأسأل اللهَ: أن يجعل ذلك صدقةً جاريةً له في الحياة والممات .

وصَلِّ اللهم على عبدِك ورسولِك محمد وعلى آلِه وصحبِه وسلِّم

يحيى الجبوري العراقي

بغداد ١٤٤٤ هـ

abraralcordy@gmail.com

= تعليمه، وحصل على إجازات علمية في علوم الشريعة؛ كما حصل على درجة الدكتوراه من كلية الشريعة من جامعة الازهر عام ١٣٩٣هـ، ونال كثيراً من الجوائز الدولية والأوسمة تقديراً لجهوده العلمية والدعوية؛ كما شغل منصب مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، وتولى الاشراف على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وشغل منصب أمين رابطة العالم الإسلامي، وهو حالياً عضو في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وللشيخ إنتاج علمي غزير سواء في مجال التأليف أو التحقيق حيث تجاوز عدد مؤلفاته ١٢ مؤلفاً، وعدد الكتب المحققة أكثر من ٢٠ كتاباً، إضافة إلى كتب ومحاضرات وأبحاث نشرت في مناسبات عدة .
المصدر: (الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة)، و(صحيفة العرب الألكترونية ٢٠١٩/٧/٣)، ومصادر أخرى .

الرسالةُ الأولى

وجوبُ تعلّم التوحيد

تمهيد

إنّ العلمَ الشرعي، إذا كان منه ما هو (فرضُ عين)، ومنه ما هو (فرضُ كفاية)[١٠]؛ فإنّ (علمَ العقيدة)، و(علمَ أصول الدين)، و(علمَ التوحيد)، هو أهمُ فرضِ عينٍ يجب على المسلم تعلّمُه[١١].

قال الإمام ابن أبي العزّ[١٢]: اعْلَمْ: أَنَّ التَّوْحِيدَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ: أن أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شِهَادَةُ: أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى: أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ[١٣].

وقال الإمام ابن القيم[١٤] في "إعلام الموقّعين": ((أَشْرَفُ الْعُلُومِ عَلَى الإِطْلَاقِ: عِلْمُ التَّوْحِيدِ))[١٥].

---

(١٠) يُنظَر "مجموع الفتاوى" (٣/٣٢٨-٣٢٩)، للإمام ابن تيمية .

(١١) يُنظَر "مختصر منهاج القاصدين" (ص١٦)، لابن قدامة .

(١٢) هو الإمام أبو الحسن عليُّ بن علاءِ الدين الدمشقي، ولد عام ٧٣١ هـ ، ونشأ في دمشق، في كنف أسرة معظم أفرادها قد تولّى القضاء، وكان من تلاميذ الإمام ابن كثير، وعُيّن قاضياً في دمشق، وتعرض لمحنة بسبب إثباته لعلو الله، ورفضه لمظاهر الغلو والإشراك، وبقي ملازماً لبيته طوال هذه المحنة، حتى رفع بعض الأمراء ذلك عنه، وعاد إلى جميع وظائفه حتى توفي عام ٧٩٢هـ، ودُفن في دمشق .
المصدر: مقدمة "شرح العقيدة الطحاوية"، للشيخ التركي، ومصادر أخرى .

(١٣) "شرح العقيدة الطحاوية" (١/٢١-٢٢) بشيء من التصرف والاختصار .

(١٤) هو الإمام أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكرِ بْنُ أَيُّوبَ الزُّرْعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (٦٩١هـ - ٧٥١هـ)، المعروف باسم (ابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ)، أو (ابْنِ القَيِّمِ)، الفقيه، والمحدّث، والمفسّر، والعالم المجتهد، وعندما شبَّ اتّصل بشيخه ابن تيميّة، وحصل له تحوّل بسبب ذلك في حياته العلمية، فأصبح يلتزم موافقة الدليل من الكتاب والسنة ثم على أقوال الصحابة وآثار السلف، وسُجن مع ابن تيمية سنة ٧٢٦هـ بسبب إنكاره لشدّ الرحال لزيارة القبور، وأوذي بسبب غيرها من الفتاوى، وكان لابن قيم الجوزية تأثير كبير في العالم الإسلامي، ومن ذلك دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وغيرها .
المصدر: "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة"، للإمام ابن حجر، ومصادر أخرى .

(١٥) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (١/٤) .

ولذلك ألّف الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب كتاباً خاصاً في خطورة ترك التوحيد، أسماه: "مفيدُ المستفيد في كفرِ تاركِ التوحيد"؛ فالترك، والإنصرافِ عن متابعة النبيّ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] في أصول الدين، هو (كفر الإعراض)، المخرجِ من الملّة، المخلّدِ لصاحبِه في نار جهنّم؛ كما قال تعالى: ((وَالذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ)) [الاحقاف: ٣] .

وقال العلاّمة سليمان بن سحمان[١٦]: إذا عُدِم الأصلُ الذي يدخل به في الإسلام، وأعرض عن هذا بالكليّة، فهذا كفر الإعراض، وفيه قولُه تعالى: ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)) [الأعراف: ١٧٩] .

فالإنسان لا يكفر، إلاَّ بالإعراض عن تعلّمِ ومعرفة الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، لا بترك الواجبات والمستحبات[١٧].

ولذلك نقولها صريحةً معلنةً – وليرضَ من يرضَ، وليغضب من يغضب –: إنّ الإنسانَ، إذا ترك تعلمَ العقيدة، وترك معرفةَ التوحيد – وهو قادرٌ مستطيع –،

---

(١٦) هو العلاّمة سليمان بن سحمان الخثعمي، فقيه ومن العلماء، ولد في أبها في عسير عام ١٢٦٦هـ ، وانتقل مع أبيه إلى الرياض، فتلقى عن علمائها التوحيد والفقه واللغة، وتتلمذ على يد العلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وتفرّغ للتدريس والتأليف، وتوفي سنة ١٣٤٩هـ، ومن مؤلفاته: "إقامة الحجة والدليل"، و"الضياء الشارق" .
المصدر: "الشيخ سليمان بن سحمان.. حياته وشعره"، لناصر السمعاني، ومصادر أخرى .
(١٧) "الدرر السنيّة في الأجوبة النجدية" (٤٧٢/١٠-٤٧٣)، جمع ابن قاسم، بشيء من التصرف والاختصار .

فقد ضلَّ، وابتعد عن الصراط المستقيم .

وهذا الكتاب محاولةٌ متواضعة للتذكير بهذا الواجب العظيم .

التربيةُ القرآنيةُ، والنبويّةُ، تأمران بتعلّمِ التوحيدِ

قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) [الشورى: ٥٢] .

فالإسلامُ عمادُه وروحُه (العلم) .

أما الجهل؛ فهو مضادٌ للإسلام، مناقضٌ له .

قال تعالى: ((وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ))

[آل عمران: ٧٩] .

قال الإمام البقاعي: (الربّاني)، هو المتبعُ لطريق ربّه بالعلم والعمل، وهو شديدُ التمسّك بدينِ اللهِ، وطاعتِه[١٨]؛ فلا بد من تعلّم العلم أولاً، ثم العمل به .

قال الإمام ابن كثير[١٩]: ((تَدْرُسُونَ))، أي: تحفظون ألفاظَه[٢٠].

---

(١٨) يُنظَر "نظم الدرر" (١١٨/٢) .

(١٩) هو الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١-٧٧٤) المُحدّث، والمفسر، والفقيه، قرأ القراءات، وجمع التفسير، وسمع الحديث من ابن الشحنة، وابن عساكر، والمزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاحبَ ابن تيمية، وله عدة تصنيفات أشهرها: "تفسير القرآن العظيم"، و"البداية والنهاية"، و"الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث"، و"السيرة النبوية" .

المصدر: "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة"، للإمام ابن حجر، ومصادر أخرى .

(٢٠) "تفسير القرآن العظيم" (٦٦/٢)، للإمام ابن كثير .

قال العلاّمة صالح الفوزان[٢١]: الإسلامُ ليس دعوى، فقط، الإسلامُ حقيقةٌ ومعرفة، فلا بدّ فيه من العلم والبصيرة؛ لأن الجاهلَ بدينِه، يقع في الخطر، وهو لا يدري، كالذي يسير في طريقٍ فيه حفر وأعداء وسباع، وهو لا يعرفه؛ فيقع في الخطر، وهو لا يدري[٢٢].

عن عبدِ الله بن عمر – رضي اللهُ عنهما – قال: ((لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَإِنَّ أَحْدَثَنَا [يعني: أصغرنا] يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ... وَلَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ؛ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي: أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ [هو: التمرُ الرديءُ]))[٢٣] .

وعن حُذَيْفَةَ بن اليمان – ﷺ – قال: ((إِنَّا قَوْمٌ أُوتِينَا الْإِيمَانَ قَبْلَ: أَنْ نُؤْتَى الْقُرْآنَ، وَإِنَّكُمْ قَوْمٌ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُؤْتَوَا الْإِيمَانَ))[٢٤] .

قال الإمام ابن تيمية[٢٥]: دَخَلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))[٢٦]: تَعْلِيمُ حُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ جَمِيعًا؛ بَلْ: إنّ

---

(٢١) هو العلاّمة صَالِح بنُ فَوزان بن عبدِ الله الفوزان، وُلِد في ١٣٥٤هـ، وتتلمّذ على أيدي عدد من العلماء والفقهاء البارزين أمثال: عبد الرحمن السعدي، وعبد العزيز بن باز، ومحمد الأمين الشنقيطي، وهو عضو في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وله العديد من البحوث والكتب.
المصدر: الموقع الرسمي للشيخ.
(٢٢) "المنتقى من فتاوى الفوزان" (١١/٢٢- ١٣)، للعلاّمة صالح الفوزان، بتصرف واختصار .
(٢٣) رواه الحاكم (١٠١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: على شرطِهما، ولا علّة له .
(٢٤) رواه البيهقي في "السنن الكبرى" (٥٢٩١) .
(٢٥) هو الإمام أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ النُّمَيْرِيُّ الْحَرَّانِيُّ (٦٦١هـ - ٧٢٨هـ) المشهور باسم اِبْنُ تَيْمِيَّةَ، فقيه ومحدّث ومفسّر وعالم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة =

تَعَلُّمَ مَعَانِيهِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ، وهو الَّذِي يَزِيدُ الْإِيمَانَ؛ كَمَا قَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُمَا - ﷺ-: تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ؛ فَازْدَدْنَا إِيمَانًا، وَأَنْتُمْ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ[٢٧].

التربيةُ النبويّةُ تأمر بتعلّمِ التوحيدِ ودراستِه:

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]، وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ [هم: الغلمان، إذا اشتدوا، وقووا، وقاربوا البلاغ]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ: أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ؛ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا))[٢٨].

جندبُ - ﷺ - يقول: أن رسولَ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] ربَّانا وعلَّمنا: أن ندرسَ ونهتمَ بالإيمانِ والعقيدةِ والتوحيدِ قبل القرآن؛ فلما قرأنا القرآنَ ازددنا إيماناً؛ فبانَ وظهرَ علينا نورُ القرآن؛ لأنَّ الأرضَ صارت صالحة، فخرج نباتها طيباً .

وأما العكسُ من ذلك، وهو الاشتغالُ بقراءة القرآن، فقط، من غير تعلّمٍ، ولا تحقيقٍ للعقيدة والتوحيد أولاً؛ فذلك مما نُهينا عنه؛ ((فَكَيْفَ يُرَامُ الْوُصُولُ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ، بِغَيْرِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِـهِ

= وكان يفتي بما يراه موافقاً للدليل من الكتاب والسُنة ثم أقوال الصحابة وآثار السلف، ويذكر المؤرخون أنه أخذ العلم عن أكثر من مائتي شيخ في مختلف العلوم منها التفسير والحديث والفقه والعربية، وقد شرع في التأليف والتدريس في سن السابعة عشرة، واجه ابن تيمية السجن والاعتقال عدة مرات، وعاصر غزوات المغول على الشام، وقد كان له دور في التصدي لهم، وظهر أثر ابن تيمية في أماكن مختلفة من العالم الإسلامي، وبخاصة في دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكذلك في مصر والمغرب العربي والهند .
المصدر: "الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية"، للعلاّمة بكر أبو زيد، ومصادر أخرى .

(٢٦) رواه البخاري (٥٠٢٧)

(٢٧) "مجموع الفتاوى" (٤٠٣/١٣)، للإمام ابن تيمية .

(٢٨) رواه ابن ماجه (٦١)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٦٧٨)، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن" .

وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]؟!!، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

أَيُّهَا الْمُغْتَدِي لِيَطْلُبَ عِلْمـــاً كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُـــــولِ

تَطْلُبُ الْفَرْعَ كَيْ تُصَحِّحَ أَصْلًا كَيْفَ أَغْفَلْتَ عِلْمَ أَصْلِ الْأُصُولِ[٢٩]

وعن أبي واقد الليثي - ﷺ - قال: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ [أي: ذاتُ تعاليق، كان المشركون يعلِّقون بِها أسلحتَهم للتبرّك بِها]، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ -، كَمَا قَالَتْ بنو إِسْرَائِيلَ: ((اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ. قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))؛ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))[٣٠].

قال العلاّمة صالِح الفوزان: دلّ الْحديثُ على مسائل عظيمة، منها: خطرُ الْجهل بالتوحيد، فإن مَنْ يَجهلُ التوحيد حَرِيٌّ أنْ يقعَ فِي الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يَجب تعلُّم التوحيد، وتعلُّم ما يضادّه من الشرك، حتَى يكونَ الإنسانُ على بصيرةٍ؛ لئلا يُؤتَى من جهلِه[٣١].

(٢٩) "شرح العقيدة الطحاوية" (١٨/١)، للإمام ابن أبي العزّ .

(٣٠) رواه أحمد (٢١٩٠٠)، والترمذي (٢١٨٠)، والطبَرانِي فِي "الْمعجم الكبِير" (٣٢٩١)، وصحّحه الألبانِي في "صحيح السنن".

(٣١) "شرح القواعد الأربع" (ص٣٣)، للعلاّمة صالح الفوزان .

تَعلّمُ التوحيدِ، شرطٌ من شروطِ: (لا إلهَ إلاَّ اللّه)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو – رضي الله عنهما – قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: ... آمُرُكَ بِـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) .

وَلَوْ: أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))[٣٢].

قال الإمام القرطبي: مذهبُ غُلاَةِ المرجئةِ: أنَّ التلفُّظَ بالشهادتين كافٍ في الإيمان، وهو مذهبٌ معلومُ الفساد من الشريعة، ولأنَّهُ يَلْزَمُ منه تسويغُ النفاقِ، والحُكْمُ للمنافق بالإيمانِ الصحيح، وهو باطلٌ قطعًا[٣٣] .

فـ (لا إلهَ إلاَّ الله)، قامت على شروطٍ سبعة، ومن حقَّق هذه الشروط صارَ من الموحّدين، ومَن أخلَّ ولو بشرطٍ واحدٍ منها، خرجَ عن كونِه من أهلِ التوحيدِ والإسلام، ولا ينفعه مجردُ تلفّظِه بهذه الكلمة .

والشرْطُ – كما قال العلاّمة الشنقيطي[٣٤] –: هو مـــا يلزمُ من عدمِه عـــدمُ

(٣٢) رواه أحمد (٦٥٨٣)، وصحّحه الألباني في "صحيح الأدب المفرد" .

(٣٣) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (١٢٣/١) .

(٣٤) هو العلاّمة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، وُلِد في موريتانيا عام ١٣٢٥هـ ، واتصل بعددٍ من علماء بلده؛ فأخذ عنهم، ونال منهم الإجازات العلمية، وعُرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة والإجتهاد في طلب العلم، ولّما قدم إلى المملكة العربية السعودية، منحه الملك عبدالعزيز آل سعود الجنسية السعودية، وكان من أوائل المدرّسين في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وعُيّن عضواً في هيئة كبار العلماء، حتى توفاه الله =

المشروط[٣٥].

شروطُ لا إله إلا الله[٣٦]:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً .

الثاني: اليقين، وهو كمالُ العلم بها، المنافي للشكّ والريب .

الثالث: الإخلاص، المنافي للشرك .

الرابع: الصدق، المنافي للكذب .

الخامس: المحبة لهذه الكلمة، ولما دلَّت عليه، والسرورُ بذلك .

السادس: الانقيادُ لحقوقها، وهي الأعمالُ الواجبة، إخلاصاً لله، وطلباً لمرضاتِه .

السابع: القبول، المنافي للردّ .

وبعض العلماء يضيف شرطاً ثامناً، وهو: الكفر بالطاغوت .

وعن أنس بن مالك – ﷺ – قال: قال رسولُ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] عن شفاعتِه يوم القيامة: ((ذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] حَتَّى قَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ؛ فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًى، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جِبْرِيلَ: اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ فَقُلْ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، قَالَ: فَشُفِّعْتُ فِي أُمَّتِي، أَنْ أُخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا

= عام ١٣٩٣هـ، من مؤلفاته: "الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً"، و"دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب"، و"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، و"الأحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان" .
المصدر: "الموقع الرسمي للشيخ" .
(٣٥) "مذكرة في أصول الفقه" (ص٥١)، للعلاّمة الشنقيطي .
(٣٦) "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٢)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

وَاحِدًا، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ؛ فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ، حَتَّى أَعْطَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ، مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَنْ شَهِدَ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمًا وَاحِدًا، مُخْلِصًا، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ))[٣٧] .

فبيّن [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: أنّ: (لا إلهَ إلاّ الله)، لا تنفع قائلَها إلاّ بشروطٍ اشتُرِطت فيها .

((أمّا النطـقُ بـ (لا إله إلاّ الله) من غيرِ معرفةٍ لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه؛ فغير نافعٍ بالإجماع))[٣٨] .

فإذا ذهب شرط واحد من: (لا إله إلا الله)، نُقِضت هذه الكلمة وعُدِمت، وأول شرطٍ من شروطِ: (لا إله إلاّ الله)، هو العلم؛ ولن تصل إلى العلم، إلاَّ عن طريق التعلّم .

الدليل الأول على هذا الشرط :

قولُه عزّ وجلّ: ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [آل عمران: ١٨][٣٩] .

فإذا كنت جاهلاً بِمعاني هذه الآية؛ فكيف حقَّ لك الانتسابُ إلى أهلِها؟!! .

قال الإمام ابن تيمية: سُبْحَانَهُ شَهِدَ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ، وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ عِبَادِهِ يَشْهَدُونَ، وَهذه الشَّهَادَاتُ كلّها مُتَطَابِقَةٌ مُتَوَافِقَةٌ[٤٠] .

---

(٣٧) رواه أحمد (١٢٨٢٤)، وصحّحه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" .
(٣٨) "فتح المجيد" (ص٣٥)، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ؛ بتصرف والاختصار .
(٣٩) يُنظَر وجه الاستدلال بهذه الآية في "ثلاثة الأصول وأدلتها" (ص٧)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(٤٠) "منهاج السنة النبوية" (٣٧٤/٥) .

الدليل الثاني على هذا الشرط:

قال اللهِ عزّ وجلّ مخاطباً رسولَه [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] – والمراد بالخطاب عموم الأمة – في (سورةٍ مدنية)!!، حتى لا يقولَنّ أحدٌ: (إنّ الأمرَ بتعلّم التوحيد: إنما هو في السور المكية، وأنتم تطبّقون علينا آياتِ المشركين)!!، قال تعالى: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ)) الآية [مُحَمَّد: ١٩][٤١].

((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ))، هذا أولاً، ثم ((وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ))، بأقوالِ اللسان وأعمال الجوارح .

قال الإمام ابن تيمية: التَّوْحِيدُ يُذْهِبُ أَصْلَ الشِّرْكِ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَمْحُو فُرُوعَهُ؛ فَأَبْلَغُ الثَّنَاءِ قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَأَبْلَغُ الدُّعَاءِ قَوْلُ: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ)[٤٢].

الدليل الثالث على هذا الشرط:

قول اللهِ عزّ وجلّ: ((وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) [الزُخرف: ٨٦][٤٣].

أيّ: إلاّ الذين شهِدوا بـ (لا إله إلاَّ الله)، وهم يعلمون بقلوبِهم ما نطقوا به بألسنتِهم، فالجاهلُ بالتوحيد، المعرضُ عنه، غير المتعلّم له، ليس من أهل هذه الآية .

---

(٤١) يُنظَر وجه الاستدلال بهذه الآية في "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٣)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(٤٢) "مجموع الفتاوى" (٦٩٧/١١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(٤٣) يُنظَر وجه الاستدلال بهذه الآية في "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٣)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

الدليل الرابع على هذا الشرط:

عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - ﷺ - قال: قال رسولِ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: **((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ: أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،دَخَلَ الْجَنَّةَ))**[٤٤].

فاشترط رسولُ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] لدخولِ الجنّة: أن يكونَ قائلُ: (لا إله إلا الله)، عالماً بمعناها[٤٥].

(٤٤) رواه مسلم (٤٥).

(٤٥) يُنظَر وجه الاستدلال بهذا الحديث في "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٣)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

كفرُ الإعراض

لما تكلّم الإمام ابن القيم عن الكفر وأنواعِه، قال: ((وَأَمَّا الْكُفْرُ الْأَكْبَرُ، فَخَمْسَةُ أَنْوَاعٍ: كُفْرُ تَكْذِيبٍ، وَكُفْرُ اسْتِكْبَارٍ وَإِبَاءٍ مَعَ التَّصْدِيقِ، وَكُفْرُ إِعْرَاضٍ، وَكُفْرُ شَكٍّ، وَكُفْرُ نِفَاقٍ))[٤٦].

وقال الشيخُ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: ((الْكُفْرُ المُخرِجُ من الْمِلَّةِ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ... الرابع: (كُفْرُ الإِعْرَاضِ)، وَالدَّلِيل قَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ)) [الأحقاف: ١٣][٤٧].

ما هو كفر الإعراض؟:

الإعراض، هو: الإضرابُ عن الشيء، أي: أخذتُ عَرْضاً جانباً غير الجانب الذي فيه مَن أعرضتُ عنه[٤٨]، وذلك بعد الإقبال عليه[٤٩].

فالإِعْراضُ عَنِ الشَّيْءِ، الصدُّ عَنْهُ[٥٠]؛ وذلك، لأنّ المعرِضَ مستبد بنفسِه، مستغنٍ عن ما أعرض عنه[٥١].

فتلّخص لنا: أن (كفر الإعراض)، هو: التركُ والانصرافُ عن متابعةِ ما جاء به رسولُ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] في أصول الدين، لا يَتَعَلَّمُها، وَلا يَعْمَلُ بِها.

قال الإمام ابن القيم: (كُفْرُ الْإِعْرَاضِ): أَنْ يُعْرِضَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ،

---

(٤٦) "مدارج السالكين" (٣٤٦/١)، للإمام ابن القيم.
(٤٧) "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٧)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.
(٤٨) "التوقيف على مهمات التعاريف" (ص٥٦)، للمناوي.
(٤٩) "التعريفات" (ص٢٩)، للجرجاني.
(٥٠) "لسان العرب" (١٨٢/٧)، لابن منظور.
(٥١) "أضواء البيان" (٣٧٣/٣)، للعلاّمة الشنقيطي.

لَا يُصَدِّقُهُ وَلا يُكَذِّبُهُ، وَلا يُوَالِيهِ وَلا يُعَادِيهِ، ولا يحبُّه ولا يبغضُه، وَلَا يُصْغِي إِلَى مَا جَاءَ بِهِ الْبَتَّةَ؛ فلا ينظرُ فيما جاء به الرسول، بل هو معرضٌ عن متابعتِه ومعاداتِه، وكلّ من أعْرَضَ عَن الإهتداءِ بِالْوَحْي - الَّذِي هُوَ ذكر الله - فَلَا بُدّ: أن يَقُولَ لشيطانهِ يَوْم الْقِيَامَة: ((يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ)) [الزخرف: ٣٨][٥٢].

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: من عرف: أن التوحيدَ دين اللَّهِ ورسولِه [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم]، وأقرَّ: أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر: أنها الشرك باللَّهِ، الذي بعثَ اللَّهُ رسولَه [صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] ينهى عنه، ويقاتل أهلَه، ليكونَ الدين كلّه للَّهِ، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلّمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشركَ، فهذا كافرٌ، نقاتله بكفرِه؛ لأنه عرف دين الرسول [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم]، فلم يتبعْه، وعرف الشرك، فلم يتركْه، مع: أنه لا يبغض دين الرسول [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم]، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزيّنه للناس[٥٣].

قال العلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ[٥٤]: إذا كان أصلُ الإيمان

---

(٥٢) يُنظَر "مدارج السالكين" (٣٤٧/١)، و"مفتاح دار السعادة" (٤٤/١)، و(٢٦١/١)، كلاهما، للإمام ابن القيم .

(٥٣) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٠٣/١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

(٥٤) هو العلاّمة عبد اللطيف بن العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ولد في الدرعية، من بلاد نجد، سنة ١٢٢٥هـ، وعندما كان عمره ثماني سنوات، بدأت الحرب العثمانية السعودية، والتي هُزم فيها السعوديون، ومثل العديد من عائلة آل سعود وآل الشيخ الآخرين، تمّ إرسال عبد اللطيف مع والده إلى المنفى في مصر، وقضى فيها ٣١ عامًا، درس خلالها مع العديد من العلماء من نجد ومصر في ذلك الوقت، ولم يعد إلى وطنِه إلاَّ في عام ١٢٦٤هـ، ثم غادر إلى الأحساء =

موجوداً، والتفريط،والترك: إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات، فإن أحوالَ الناسِ في ذلك تتفاوتُ بِحسب درجاتِهم في الإيمان .

وأما، إذا عُدِم الأصلُ الذي يَدخلُ به في الإسلام، وأعرض عن هذا الأصل بالكليّة، فهو (كفر الإعراض)، وفيه قولُه تعالى: ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))

[الأعراف: ١٧٩]))[٥٥].

وكذلك، قَالَ تَعَالَى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)) [السجدة: ٢٢] .

فهذا الذي يزعمُ: أنه لا يتعلّم الدينَ، ولا يعبد الله: إنما أطاع الشيطانَ، وعبَدَ الشيطان، فهو الذي أمرَه بذلك؛ فصار عابداً للشيطان[٥٦].

التحذير من (كفر الإعراض):

١. قولُه تعالـى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ

= لنشر الدعوة السلفية فيها، والبقاء هناك لمدة عامين، ثم عاد إلى الرياض يساعد الإمام فيصل بن تركي في تأسيس الدولة السعودية، ومن تلاميذه: الشيخ العلامة سليمان بن سحمان، والعلامة حمد بن عتيق، ومن مؤلفاته: "مصباح الظلام في الرد على من افترى على الشيخ الإمام"، و"منهاج التأسيس"، وتوفي في الرياض سنة ١٢٩٣هـ .

المصدر: "مشاهير علماء نجد"، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ومصادر أخرى .

(٥٥) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (٣/٣١٥)، للعلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار .

(٥٦) "شرح نواقض الإسلام" (ص٢٧)، للعلاّمة الراجحي، بشيء من التصرف والاختصار .

٢. مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)) [الكهف: ٥٧] .

قال العلاّمة الشنقيطي: ذكر اللهُ سبحانه في هذه الآية الكريمة: أن الإعراضَ عن آياتِ الله من أعظم الظلم، ومن نتائجِ ذلك السيئة: أنّ صاحبَه من أعظمِ النّاس ظلماً، وأن الأكنةَ على قلبِه، فلا يفقه الحقّ، ولا يهتدي إليه أبداً[٥٧].

٣. قولُ الله عزَّ وجل: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى))

[طه:١٢٤- ١٢٦] .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: (ذِكْرُ اللهِ) في الآية، هو القرآن، الذي بيَّن الله فيه لخلقِه ما يحبُّ وما يكره، ومن أعرض عن القرآن، وأراد الفقهَ مِن غيره، ذكَره اللهُ بعقوبتين: إحداهما: المعيشة الضنك؛ وفسّرها السلف بنوعين:

أ. ضنك الدنيا، فيسلّط الله عليه الخوف، وتعب القلب والبدن، والجهل، والشكّ، والحيرة، والقلق، وضيق الصدر، حتى يأتيَه الموتُ ولم يتهنَ بعيش.

ب. الضنك في البرزخ، وعذاب القبر .

والعقوبة الثانية: ((وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى))، والعمى نوعان: عمى القلب، وعمى البصر؛ فهذا المعرِض عن القرآن لما عَميت بصيرتُه في الدنيا عن

(٥٧) "أضواء البيان" (٤/ ١٤٢-١٤٣)، للعلاّمة الشنقيطي، بشيء من التصرف والاختصار .

القرآن، جازاه اللهُ: بأنْ حشرَه يوم القيامة أعمى[٥٨].

٤. قولُ الله عزّ وجلّ: ((وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا. مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا. خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً))

[طه: ٩٩-١٠١].

قال العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي[٥٩]: ((وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا))، وهو هذا القرآن الكريم، ذكرٌ يُتذكَّر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات، وأحكامُ الأمر والنهي، وأحكامُ الجزاء، فيجب تلقيه بالقَبول والتسليم، وأن يُهتدَى بنورِه إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلّم والتعليم، وأما مقابلتُه بالإعراض، فإنه كفرٌ لهذه النعمة، ومن لم يؤمنْ به، أو تهاون بتعلّم معانيه الواجبة؛ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذنبَه، وبئس الحمل الذي يحمله، وبئس العذاب الذي يُعذَّبه[٦٠].

فهذه الآيات الخمس التي مرّت عليك - من بداية هذا الفصل - تحذّرك وتنبّهك إلى: أن هناك كفراً، هو (كفر الإعراض)، والذي يجبُ عليك: أن تفرَّ منه!!،

---

(٥٨) "تفسيرُ آياتٍ من القرآن الكريم" (ص٢٦٦-٢٦٨)، للشيخ الإمام محد بن عبد الوهاب، بتصرفٍ واختصار.

(٥٩) هو العلاّمة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي، ويُعرف اختصاراً بابن سعدي، وُلد في عنيزة عام١٣٠٧هـ، ونشأ يتيماً ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما؛ في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، ومن أبرز مؤلفاته: تفسيره المسمى "تيسير الكريم الرحمن"، و"إرشاد أولي البصائر"، و"الدرّة المختصرة في محاسن الإسلام"، و"القواعد الحسان لتفسير القرآن"، ومن أشهر تلاميذه: محمد بن صالح العثيمين، وعبد الله البسام، وتوفي - رحمه الله - عام ١٣٧٦هـ.

المصدر: "حياة علامة القصيم عبدالرحمن بن ناصر السعدي"، لعبدالله الطيار، ومصادر أخرى.

(٦٠) " تيسير الكريم الرحمن" (ص٥١٢)، بتصرف وإختصار.

((فلا ينبغي لرجلٍ يؤمن باللهِ واليوم الآخر: أن يعرضَ عن التوحيد، لأجل: أن أهلَ بلدِه، أو: أن أكثر الناس في زمانِه قد أعرضوا عنه))[٦١] .

(٦١) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٧٦/١)، جمع ابن قاسم .

الإعراضُ عن التوحيد

الإعراضُ عن التوحيد، لا يتعلّمه، ولا يعمل به، ذكره الشيخَ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب في (نواقضِ الإسلامِ العشرة) التي أجمع العلماءُ عليها[٦٢]، وَالدَّلِيلُ على هذا الناقض، قَوْلُهُ تعالى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)) [السجدة: ٢٢] .

قال العلاّمة عبد الرحمن السعدي: أي لا أحدَ أظلم، وأزيد تعديًا، ممن ذُكِّر بآيات ربّه الذي يريد تربيتَه، على أيدي رسلِه، فقابلها هذا الظالم بضدِّ ما ينبغي، فلم يؤمن بها، ولا اتبعها، بل أعرضَ عنها، وتركها وراء ظهرِه، فهذا من أكبر المجرمين[٦٣].

وقال العلاّمة صالح الفوزان: لا بد: أن الإنسان يتعلّم، ولا يكفي: أن يقول: أنا مسلم، ولو سألناه: ما هو الإسلام؟، أو عرِّف لنا الإسلام؟، أو بيّن لنا نواقضَ الإسلام؟؛ فالكثيرون لا يستطيعون ذلك، ولا يعرفون نواقض الإسلام، وإذا جهِلها الواحد؛ فيوشك أن يقعَ فيها وهو لا يدري[٦٤] .

ومن الأدلة الأخرى على: أنَّ الإعراضَ عن تعلّم التوحيد ناقِضٌ من نواقــضِ

---

(٦٢) تُنظَر"الدرر السنية" (٤٨٣/١٥)، و"الرسائل الشخصية" (ص٢١٣)، كلاهما، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(٦٣) " تيسير الكريم الرحمن" (ص٦٥٦)، للعلاّمة السعدي، بشيء من التصرف والاختصار .

(٦٤) "المنتقى من فتاوى الفوزان" (١١/٢٢- ١٣)، للعلاّمة صالح الفوزان، بشيء من التصرف والاختصار .

الإسلام: قولُه تعالى: ((بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ))

[الأنبياء: ٢٤] .

وقولُه تعالى: ((فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ)) [فصلت: ٤] .

والإعراض ضابطُه: أنه لا يتعلّم الدين ولا يعمل به، بل لا يهمّه، لا من قريب ولا من بعيد، مع تمكّنه من ذلك، بل لا يرفع به رأساً، ولو احتاج خبزاً لمعيشتِه لسعى إليه .

وأما الدين، فهو مُعْرِضٌ عنه، مثل ما حصل في وقت إمام الدعوة مُحَمَّد بن عبد الوهاب، فكان هناك أناس يرَون الجهادَ قائم، والدعوةَ والمُجَادَلَة قائمة، وهو يقول: (ما عليّ منهم)!!، و(ما عَليَّ من هذا الدين)!![٦٥]، ومثل المادّيين، ومثل الذي همّه الدنيا، وليست له همّة في تعلم الدين، ولا في محبة الله ورسوله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم][٦٦]؛ فأنت، إذا تركتَ وأعرضتَ وانصرفتَ عن ما جاء به النبيّ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] من أصول الدين، كنت مؤاخذاً بمجرد الترك والإعراض، ولو من غير استنكاف، ولا استكبار! .

قال العلاّمة عبد العزيز الراجحي[٦٧]: الكفرُ يكون بالقلب، ويكون باللسان،

---

(٦٥)"شرح العقيدة الطحاوية" (ص٤٢٥)، للعلاّمة صالح آل الشيخ بشيء من التصرف والاختصار.

(٦٦) "ضابط كفر الإعراض" بشيء من التصرف والاختصار، فتوى للعلاّمة صالح آل الشيخ من موقعِه الرسمي .

(٦٧) هو العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله بن عبدالرحمن الراجحي، ينتهي نسبه إلى قبيلة بني زيد، ولد في مدينة البكيرية عام ١٣٦١هـ، وحصل على الماجستير من المعهد العالي للقضاء، ودرس الشيخ على عدد من العلماء، ومنهم: الشيخ عبد الله بن حُميد، والشيخ عبد العزيز بن باز، وهو =

ويكون بالعمل، ويكون كذلك، بالرفضِ، والتركِ، والإعراضِ عن دين الله[٦٨].

فالمقصود: أن هذا الناقض الخطير مما يجب: أن ندين إلى الله عزّ وجل بالخلاص منه، وأن نحذّرَ الناس من الوقوع فيه .

= شيخه الذي لازمه، وتولّى التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود قسم العقيدة، وله عدد من المؤلفات نحو سبعين كتابا، منها: "منحة الملك الجليل بشرح صحيح محمد بن إسماعيل (البخاري)"، و"توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم"، و"شروح رسائل الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب".

المصدر: الموقع الرسمي للشيخ .

(٦٨) "شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد" (ص٢٤)، للعلاّمة عبد العزيز الراجحي .

الفطرة السليمة، وتعلّم التوحيد

يردّد البعض: (لسنا بحاجة إلى تعلّم التوحيد ودراستِه؛ لأنه الفطرة التي فطر الله الناس عليها)!!؛ وهذا مما يتطلّب شرح المسألة:

قال المُناوي[٦٩]: (الفطرة): هي الجِبلَّة المتهيئة لقبول الدين؛ فهي ما ركّب اللهُ في الإنسان من قوةٍ على معرفة الإيمان[٧٠] .

والمعروفُ عند عامّة السلف: أن الفطرة، هي الإسلام[٧١].

قال تعالى: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)) [الروم: ٣٠] .

قال الإمام ابن كثير: أي فَسَدِّدْ وَجْهَكَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، ولَازِمْ فِطْرَتَكَ السَّلِيمَةَ، الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ خَلْقَهُ عَلَيها، من تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرَهُ[٧٢] .

وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ - ﷺ - قال: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى

---

(٦٩) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المُناوي، القاهري، (٩٥٢-١٠٣١هـ)، من كبار العلماء، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، لتأثره - غفر الله له - بأفكار الصوفية، فمرض وضعفت أطرافه، وله تآليف كثيرة، وأشهر كتبه هو "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، وهو شرح مطوّل على كتاب الجامع الصغير للإمام السيوطي .
المصدر: "الأعلام"، للزركلي، ومصادر أخرى .
(٧٠) "التوقيف على مهمات التعاريف" (ص٥٦٠)، للمناوي .
(٧١) يُنظَر "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" (٧٢/١٨)، لأبي عمر بن عبد البرّ .
(٧٢) "تفسير القرآن العظيم" (٣١٣/٦)، للإمام ابن كثير، بشيء من التصرف والاختصار .

آلِه وصحبِهِ وَسَلَّمَ]، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : أَلَا: إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي: أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ: أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا))[٧٣] .

فمَن كان عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا عِبَادَهُ، مِنَ الِاعْتِرَافِ لَهُ: بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ فهو المؤمن[٧٤] .

فَعُلِمَ بهذا: أَنَّ الْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ، إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهَا مَنْ يُفْسِدُهَا، كَانَتْ مُقِرَّةً بِالصَّانِعِ سبحانه، عَابِدَةً لَهُ[٧٥]؛ فصار الشرط في سلامة الفطرة: أن لا يحصل لها ما يفسدها من شياطين الإنس والجنّ .

قال الإمام ابن أبي العز: وَحِينَئِذٍ لَمْ تَكُنْ الفِطْرَةُ مُسْتَقِلَّةً بِتَحْصِيلِ الهدى والخير، بَل تحْتَاجُ إِلَى سَبَبٍ مُعَيَّنٍ لها، كَالتَّعْلِيمِ وَنَحْوِهِ[٧٦] .

عن أبي هُرَيْرَةَ - ﷺ - قال: قال رسولُ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ، إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ...، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ - ﷺ -: ((فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) [الروم: ٣٠] الآيَةَ))[٧٧].

---

(٧٣) رواه مسلم (٧٣٠٩) .
(٧٤) يُنظَر "تفسير القرآن العظيم" (٣١١/٣)، للإمام ابن كثير .
(٧٥) يُنظَر "شرح العقيدة الطحاوية" (٣٥/١)، للإمام ابن أبي العزّ .
(٧٦) المصدر السابق (٣٥/١) بشيء من التصرف والاختصار .
(٧٧) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٦٨٤٩) .

ومعنى الحديث: أن الإنسانَ مفطورٌ على الإسلام بـ (القوة) التي ركّبها الله فيه، لكن لا بد من تعلّمِه للإسلام بـ (الفعل) منه، لذلك، فمن قدّر اللهُ له كونه من أهل السعادة؛ فييسِّر اللهُ له من يعلّمه سبيلَ الهدى؛ فيصير مهيئاً لذلك الخير، ومن أهلِه، وأما من خذله وأشقاه، فيسبِّب له من يغيَّر فطرتَه، ويثني عزيمته نحو الشرّ، ويحثّه عليه، ويلازمه، حتى يختم له بالخاتمة السيئة[٧٨].

(٧٨) تُنظَر "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الأولى) (٣/٥٢٥- ٥٢٦)، برئاسة الإمام ابن باز .

الحذر من الاتكال على الأماني الكاذبة

عندما عدّدَ الشيخُ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب "مسائلَ الجاهليةِ التي خالف فيها رسولُ الله [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] أهل الجاهلية"، ذكَر منها: تمنيهم على اللهِ الأمانيَ الكاذبة، كقولِهم: ((وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) [البقرة: ١١١]))[٧٩].

وكذلك قوله تعالى: ((لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا)) [النساء: ١٢٣][٨٠] .

قال الإمام ابن القيم: مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ: رُكُوبُهُ بَحْرَ التَّمَنِّي، وَهُوَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، لاَ يَرْكَبُهُ إلاَّ مَفَالِيسُ الْعَالَمِ، وَبِضَاعَةُ رُكَّابِهِ مَوَاعِيدُ الشَّيطان، وَخَيَالَاتُ الْبُهْتَانِ، فَلَا تَزَالُ أَمْوَاجُ الْأَمَانِي الْكَاذِبَةِ، وَالْخَيَالَاتُ الْبَاطِلَةُ، تَتَلَاعَبُ بِهم؛ كَمَا تَتَلَاعَبُ الْكِلَابُ بِالْجِيفَةِ، فالأماني، هِيَ بِضَاعَةُ كُلِّ نَفْسٍ خَسِيسَةٍ سُفْلِيَّةٍ، لَيْسَتْ لَهَا هِمَّةٌ تَنَالُ الْحَقَائِقَ العلوية، فَيُمَثِّلُ الْمُتَمَنِّي صُورَةَ

(٧٩) "مسائل الجاهلية" (ص٢٠)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(٨٠) يُنظَر"شرح مسائل الجاهلية" (ص٢٢٤)، للعلامة صالح الفوزان .

مَطْلُوبِهِ فِي نَفْسِهِ، وَقَدْ فَازَ بِوُصُولِهَا، وَالْتَذَّ بِالظَّفَرِ بِهَا، وإذا اسْتَيْقَظَ، فَإِذَا يَدُهُ وَالْحَصِيرُ!! .

أما صَاحِبُ الْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ؛ فأَمَانِيهِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ؛ فَأَمَانِيُّ المؤمن، إِيمَانٌ وَنُورٌ وَحِكْمَةٌ، وَأَمَانِيُّ ذاك خُدَعٌ وَغُرُورٌ[٨١] .

وهذا يثبتُ لك: أن الدينَ ليس بالأماني الكاذبة، ولا بالادعاءات الفارغة؛ فلا يجوز: أن تعيش في الأوهام، وتدّعي التوحيدَ والسنة، من غير: أن تقدّم الأسبابَ الصحيحة لتحقيق ذلك، وأهمّها تعلم التوحيد ودراسته .

عن أمير المؤمنين مُعَاوِيَةَ بن أَبي سفيان – رضي الله عنهما – قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))[٨٢] .

فالشرطُ، هو: ((إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ)) .

أما ادعاء التوحيد مع عدم تعلّمه؛ فهو؛ كما قال أبو العتاهية:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي على الْيَبَسِ

(٨١) "مدارج السالكين" (١/٤٥٤)، للإمام ابن القيم، بشيء من التصرف والاختصار .
(٨٢) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩٢٩)، وحسّنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" .

وخيرٌ منه ما قاله عبد الله مسعود – ﷺ – موصياً: ((إِنَّ الرَّجُلَ لا يُولَدُ عَالِمًا، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُم))[٨٣].

وقال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: قولُه تعالى: ((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ))

[الزمر: ٦٥] .

هذه الآيةُ، فيها شدّة الحاجةِ إلى تعلّم التوحيد؛ فإذا كان الأنبياءُ يحتاجون إلى ذلك، ويحرصون عليه؛ فكيف بغيرهم؟!؛ ففي الآيةِ الردّ على الجهَّال الذين يعتقدون: أنّهم عرفوا التوحيد، فلا يحتاجون إلى تعلّمه![٨٤].

وقال – رحمه الله – محذّراً من الإتكال على الأماني الضالة: قَوْل الجاهل: (التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ)، هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجهل، وَمَن أعظم مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ!![٨٥].

يقول الإمام مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ: هذه الكلمة: (التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ)، صدرت من بعض الطلبة لما كثُر التدريس في التوحيد، وأرادوا القراءةَ في كتب أخرى؛ فقال الشيخ الإمام ذلك لينبّههم؛ فلا يُزهَد في التوحيد؛ فإن بالزهدِ فيه يقع الإنسانُ في ضدّه، وما هلك من هلك ممن يدّعي الإسلام، إلاّ بعدم

(٨٣) رواه ابن ابي شيبة في "مصنّفه" (٢٦١٢٣) .
(٨٤) "تفسير آياتٍ من القرآن الكريم" (ص٣٤٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(٨٥) "كشف الشبهات" (ص٤٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

إعطائِه حقّه، وبعدم معرفتِه حقَّ المعرفة؛ فهذا كلّه من عدم التحرّز، وعدم المعرفة لألفاظ التوحيد، لفظةً، لفظةً[٨٦] .

فالوقاية من الشرك، والعلاج منه: بأن يبذلَ الإنسان جَهْدَه فِي طلب العلم، والتوسع فيه، وبالأخص: علم العقيدة، التِي هي توحيد الله، والبَراءة من الشركِ، وأهلِه، ومعرفة صوره على وجه التمام؛ ليحذرَها الْمسلم[٨٧] .

(٨٦) "شرح كشف الشبهات" (ص١٠٨-١٠٩)، للإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ .
(٨٧) "أبرز الفوائد من أربع قواعد" (ص١٣)، للشيخ زيد المدخلي .

التقصير في تعلّم التوحيد

قال شيخنا العلاّمة عبد الله التركي: إنّ العودةَ إلى الدين يجب: أن تؤسَّس على العقيدةِ السلفيةِ التوقيفيةِ الجامعة، وأن تُرَد ردّاً جميلاً إلى الأصول العاصمةِ من كل زيغٍ وضلال؛ فإنّ البنيانَ مهما علا؛ فإنه سينهار، وإن الأفقَ مهما اتسع؛ فإنه سيظلم، ما لم يؤسَس البنيانُ على العقيدة المنهجية الصافية، وما لم يستضيء الأفقُ بنورِها(٨٨) .

وقال العلاّمة صالح الفوزان: يجب على كلِّ مَن عنده علمٌ وبصيرة: أن يبيّنَ خطرَ هذه الجماعات والأحزاب التي ظهرت على الساحة؛ باسم الدعوة إلى الإسلام، وكثيرٌ من أفرادِها، بل ومن قاداتِها، لا يعرفون حقيقةَ الإسلام، ولا ما يناقضه، أو ينقصه،ولا يحملون مؤهلات الدعوة إليه(٨٩) .

وهذا هو السؤال الذي، إذا جُوبِه به الكثير: ما هي نواقضُ الإسلام العشرة؟، فسيعجزون عن الإجابة!! .

امتحنوهم في التوحيد والعقيدة، تظهر لكم الحقيقة!!

ولو نُظِر في حالِ الكثيرين ممَن يتبعون المعلّمين المقصّرين في تعلم التوحيد،

(٨٨) مقدّمة العلاّمة عبدالله التركي لـ "شرح العقيدة الطحاوية" (ص٤٤)، بشيء من التصرف والاختصار .
(٨٩) مقدمة العلاّمة صالح الفوزان لكتاب الشيخ صالح بن سعد السحيمي "تنبيه أولي الأبصار" (ص: ج) .

وعندما تسألهم: أين فقههم في العقيدة؟، وأين معرفتُهم بالتوحيد، وبأقسامه؟، وما هي شروط: (لا إله إلاّ الله)، وما ينقضها؟، وما هو الشرك، وما أقسامه؟، وما هو الطاغوت، وما رؤوسُه، وكيف نكفر به؟، وكذلك، إذا سألتهم عن مسمّى الإيمان، وحقيقتِه، وعن شرح أصولِه الستة؟، وعن الإسلام، وحدِّه، وأقسامِه، وقاعدتِه، وأصلِه، ونواقضه؟، وعن ضوابطِ التكفير، وشروطِه، وموانعه؟، وعن عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات؟، وفي القدر؟، وفي الصحابة؟، فمع الأسف لن تجد جواباً عن ذلك كلّه، إلاّ: (هاه هاه، لا أدري)!!؛ فهل يرضى مسلمٌ لنفسِه هذه الحال؟!! .

قال شيخنا العلاّمة عبد الله التركي: إنّ أهل السنة والجماعة، وهو يُبيِّنون العقيدةَ المبنيّة على توحيد الله تعالى، يجلون في الوقتِ نفسِه – ووفق المنهج المعتمد – الاعتقادَ العاصم في مسائل: (عدالة الصحابة، وتفضيل الخلفاء الراشدين، وخيرية القرون الأولى، والإمامة، وعدم منازعة الأمر أهله، ومضي الجهاد، والكفّ عن تكفير المسلمين بالذنوب التي هي دون الشرك الأكبر، وهي مما اختُلِف فيه، ووحدة الجماعة، وإلتزام المنهج الصحيح في فهم الدين)، فهذا الترابط الموضوعي والمنهجي بين التوحيد وبين هذه المسائل، يدل على:

١. أن التوحيد، هو المنهج الحاكم الذي يجب: أن تفهَم كلّ مسألةٍ في هداه .

٢. أن الإنحراف في هذه المسائل، ذريعة إلى جرح التوحيد وإمراضِه .

٣. أن الذين جادلوا بالباطل – في القديم والحديث – في هذه المسائل، لم يُعرفَوا بصحة العقيدة[٩٠] .

الثمار المُرّة لدعوات أهل الباطل :

قال العلاّمة الألباني[٩١]: هناك حكمةٌ تُروى عن عيسى – عليه الصلاة السلام –، ولا يهمّنا صحتها بقدْرِ ما يهمّنا صحةُ معناها: أنه وعظ الحواريّين يوماً، وأخبرهم: بأنّ هناك نبياً يكون خاتم الأنبياء، وأنّه سيكون بين يديه أنبياء كذبة، فقالوا له: فكيف نميّز الصادق من الكاذب؟، فأجاب بالحكمة المشار إليها، وهي قوله: من ثمارهم تعرفونهم[٩٢]؛ فأنت تعرف الصوابَ من الخطأ بمعرفة ثمرةِ المسألة ونتيجتِها[٩٣] .

---

(٩٠) مقدّمة العلاّمة عبدالله التركي لـ "شرح العقيدة الطحاوية" (ص٤٤)، بشيء من التصرف والاختصار .

(٩١) هو العلاّمة المحدّث أبو عبد الرحمن محمد بن نوح بن نجاتي الألباني الأرنؤوطيّ، (١٣٣٢-١٤٢٠هـ)، يعدّ من علماء الحديث ذوي الشهرة في العصر الحديث، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث وغيره، وأشهرها "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، و"سلسلة الأحاديث الضعيفة"، و"صحيح الجامع الصغير وزيادته"، و"صفة صلاة النبيّ"، وزار الكثير من الدول للتدريس وإلقاء المحاضرات، منها المملكة العربية السعودية، وقطر، والكويت، وإسبانيا، وإنجلترا، وألمانيا، وتتلّمذ على يديه كثير من الطلبة، ومنح جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٩ هـ .
المصدر: "الإمام الألباني مواقف ودروس وعبر"؛ لعبد العزيز بن محمد السدحان، ومصادر أخرى .

(٩٢) يُنظَر "جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى" (٣١٨/٥)، جمع شادي آل نعمان .

(٩٣) يُنظَر "جامع تراث العلامة الألباني في الفقه"(٨٤/٥)، جمع شادي آل نعمان .

فالسؤال هنا: ما ثمرةُ الدعوات المخالفة لمنهج التوحيد؟ .

الجواب: الثمرةُ نشر الجهل والتجاهل للتوحيد بين صفوف الأتباع المساكين، الذين هم – للأسف – لا عقيدة، ولا علم، ولا هدى، ولا نور؛ فصار الواجب على المسلم الموحّد أن يتقرّبَ إلى الله بالتحذير من هذه الدعوات، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

التهوين من تعلّم التوحيد

قال العلاّمة صالح الفوزان: لا يُزهِّد في تعلّم التوحيد، إلاَّ أحد رجلين:

١. إما جاهلٌ لا يعرف العقيدةَ وأهميتَها، والجاهلُ لا عبرة به .

٢. وإما مغرضٌ مُضِل، يريد: أن يسدلَ الغطاء على خللِ عقيدتِه، أو على خللِ عقائد المنحرفين، الذين ينتسبون إلى الإسلام زوراً؛ كالذين يقولون: اتركوا الكلام في موضوعِ توحيد الألوهيَّةِ؛ لأنَّ هذا يفرّقُ بين المسلمين، ولا تتعرَّضوا لعبَّاد القبور والأضرحة!؛ فهم يريدون منَّا: أن نترُكَ القرآنَ، وما فيه من بيان العقيدة(٩٤) .

لماذا يُهاجَم الموحدون لدعوتهم هذه؟

قال العلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ(٩٥): وبعضهم لا يعدّ التوحيدَ

(٩٤) "المنتقى من فتاوى الفوزان" (١١/٢٢- ١٣)، للعلاّمة صالح الفوزان، بشيء من التصرف والاختصار .

(٩٥) هو العلاّمة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، (١١٩٣- ١٢٨٥هـ)، ولِد في الدرعية، ولازم دروس العلم، وقرأ على جدِّه الشيخ الإمام مؤلفاتِه، ومن مشايخه: الشيخ حمد بن ناصر، وقرأ على عمِّه علامة نجد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ حسين بن غنام، ثم ولي قضاء الدرعية زمن الإمام سعود بن عبد العزيز، وزمن ابنه عبد الله بن سعود، حتى خرج جيش محمد علي باشا لقتال أهل الدعوة السلفية؛ فعند ذلك جنَّد الشيخُ نفسه للدفاع عن الدين والأوطان، فصحب الإمام عبد الله بن سعود في مسيرة القتال، حتى قدّر الله سقوط الدرعية واستيلاء إبراهيم بن محمد علي باشا عليها، فنقله إبراهيم باشا إلي مصر، ومعه حرمُه وعائلتُه وابنُه الشيخ عبد اللطيف، وذلك في سنة ١٢٣٣ هـ، وبقي ثمان سنوات في مصر، قرأ فيها على عدة علماء، إلى أن ردّ الله الكرة لأهل نجد على يد الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، فاستعاد نجدا وطهّرها من جميع الأتراك والغزاة؛ فعند ذلك قدم عليه الشيخ، فاستعان به الإمامُ تركي على تأسيس الدولة السعودية، ونشر الدعوة السلفية، فتخرج عليه خلائق لا يحصون، =

علماً، ولا يلتفت إليه؛ لجهلِه به، وعدمِ محبتِه، فالله المستعان[٩٦] .

فأهلُ الباطل كلُّهم، يتناصرون على محاربة هذا المنهج، ويصيحون بأهلِه، لأنهم مقصّرون في هذا الأمر، واقعون في ضدّه؛ فلذلك لا يريدون: أن يأتيَ أحد وينبّههم عليهم، ويوقظهم من سكرتِهم وغفلتهم؛ لذلك هم يعيبون على الموحّدين استغراقَهم السنين الطويلة، وهم يدرّسون ويتعلّمون التوحيد، على الرغم من: أن هذا، هو منهجُ الأنبياءِ والمرسلين، ومنهج الصحابةِ والسلفِ الصالحين، مصداقاً لقولِه تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)) [الأنبياء: ٢٥] .

قال العلاّمة صالح الفوزان: حديثُ مُعَاوِيَةَ بن أَبي سفيان – رضي الله عنهما –: عن رَسُولُ اللهِ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))[٩٧] .

= منهم ابنه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ العلامة حمد بن عتيق، والشيخ عبد الرحمن بن مانع، ومن مؤلفاته: شرحٌ على كتاب التوحيد لجدِّه محمد بن عبد الوهاب سمّاه "فتح المجيد"، وعلّق على كتاب التوحيد حاشيةً مفيدة هي "قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين"، وقد عمّ النفع بهما، ولم يزل يفتي ويدرس ويكاتب أهل بلدان نجد بالمراسلات والنصائح حتى توفاه الله في الرياض .
المصدر: "مشاهير علماء نجد"، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .
(٩٦) "قرّة عيون الموحّدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين" (ص٢٥)، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
(٩٧) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (٢٣٥٣) .

مفهومه: أن الذي لا يريد اللهُ به خيرًا لا يفقهه في الدين؛ وهو الذي يقول: (لا تتعَّلموا العقيدة)!!، وهذا: إما جهل، وإما تضليل[٩٨] .

(٩٨) "المنتقى من فتاوى الفوزان" (١١/٢٢- ١٣)، للعلاّمة صالح الفوزان، بشيء من التصرف والاختصار .

أهلُ البدع، ومحاربتهم لمتون العقيدة

من شُبهات أهل البدع: أنهم يقولون: لماذا تُلزمون الناسَ بكتب مُحَمَّد بن عبد الوهاب؟، والمتون التي ألّفها في العقيدة والتوحيد؟!، فهل كان الناسُ مشركين قبل: أن يأتيَ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، ويؤلّف هذه المتون؟! .

فلماذا هذه المحاربة من أهل البدع لمتون العقيدة، وللداعين إليها؟.

الجواب واضح، وذلك، لأن عقيدتَهم ومناهجهم تخالف ما هو موجود في هذه المتون .

في فتوى لعلماءِ نجدٍ في زمانِهم - العلاّمة سليمان بن سحمان، والعلامة مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ، والعلاّمة سعد بن حمد بن عتيق، والعلاّمة عبد العزيز الشثري، وغيرهم -: أنّ من شروط توبة الرافضة: أن يُلزَموا بتعلّم رسالة "ثلاثة الأصول"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وأن من أبى ذلك منهم يُنفى عن بلاد المسلمين!![٩٩] .

فرحِمهم اللهُ ما أشدّ غيرتِهم على التوحيد، وتعلّمه، ودراستِه .

والدعوة إلى الأخذ بهذه المتون العقدية؛ ليست لأخذ كلام مؤلفيها الشخصي

(٩٩) تُنظَر "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٩/٣١٦-٣١٧)، جمع ابن قاسم .

الخاص بهم، وألفاظِهم، وانما الأخذ يكون لمعاني الكلام وحقيقتِه المأخوذة والمستنبطة من كتاب الله وسنة رسولِه [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]، وإجماع السلف .

قال الإمام ابن تيمية: ((وَلَيْسَ لِأَحَدِ: أَنْ يُنَصِّبَ لِلْأُمَّةِ شَخْصًا يَدْعُو إلَى طَرِيقَتِهِ، وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَيْهَا، غَيْرَ النَّبِيِّ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]، وَلَا يُنَصِّبَ لَهُمْ كَلَامًا، يُوَالِي عَلَيْهِ وَيُعَادِي، غَيْرَ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ))[١٠٠] .

فجعل – رحمه الله – ما أجمعت عليه الأمة من الكلام الذي يُوالى، ويُعادى عليه، و(متــون العقيدة السلفية) – بفضلِ الله – من هذا النوع .

علماً: أن استصغارَ أهل البدع واستهانتَهم بكتب العقيدة السلفية، وتقليلَهم من شأنِها، هو الضلال، وهم لا يشعرون! .

قال الإمام ابن باز[١٠١] – رحمه الله – عن وصف كتب العقيدة بالجفاء!!: ((هذا غلطٌ عظيم، كتب العقيدة، الصحيح: أنه ليس فيها جفاء، (قال الله، قال

---

(١٠٠) "مجموع الفتاوى" (١٦٤/٢٠)، للإمام ابن تيمية .

(١٠١) هو الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٣٠هـ ١٤٢٠هـ)، وُلد في الرياض من أسرة علم، وتلقى علومه أولاً من مشايخ وعلماء بلدته، حتى رفع اللهُ شأنه بحيث شغل منصب مفتي عام المملكة العربية السعودية إلى وفاته، بالإضافة لرئاسة هيئة كبار العلماء، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، وحصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، وبلغت مؤلفاته أكثر من (٤١) كتابًا، شملت العديد من علوم الشريعة من فقه وعقيدة وفتوى، ويعدّ من أبرز علماء =

الرسول)؛ فإذا كان يصف القرآن والسنة بأنّها جفاء؛ فهذه ردّة عن الإسلام، هذه عبارة سقيمة خبيثة))[١٠٢] .

ليس المطلوب حفظ الألفاظ: إنما الحفظ مع فهم المعنى:

المطلوب: إنما هو حفظ الألفاظ المبني على الفهم، والتدّبر .

وثمرة ذلك: العمل، والدعوة، والصبر؛ فهذه هي الدعوة الصحيحة الناجحة .

أما مجرد الحفظ دون فهم؛ فكما قال اللهُ تعالى عن علماء اليهود: ((كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)) [الجمعة: ١٥] .

قال العلاّمة عبد الرحمن السعدي، أي: فمثلُهم، كمثلِ الحمارِ الذي يحمل فوق ظهرِه أسفارًا من كتبِ العلم، فهل يستفيد الحمارُ من تلك الكتبِ التي فوق ظهرِه؟، أم: أنّ حظَّه منها حملُها، فقط؟[١٠٣] .

فَهُم فِي حَمْلِهِمُ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتُوهُ، وحَفِظُوهُ، لَفْظًا، وَلَمْ يَفْهَمُوهُ، معنىً، وَلَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، بَلْ أَوَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، صاروا أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْحَمِيرِ؛

= أهل السنة في عصره، وحظى بتقدير مشايخ عصره في العالم الإسلامي، أما العلماء السلفيون؛ فيعتبرونه إمام عصرهم، حتى قال الألباني عنه: هو مجدّد هذا القرن .
المصدر: "علاّمة الأمة الإمام ابن باز"، لسليمان بن عبد الله الطريم، ومصادر أخرى .
(١٠٢) "الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة" (ص ٥٠)، لجمال بن فريحان الحارثي .
(١٠٣) يُنظَر "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"(ص٨٦٢)، للعلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

لِأَنَّ الْحِمَارَ لَا فهمَ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ فُهُومٌ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تعالى: ((أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)) [الأعراف: ١٧٩][١٠٤].

وَفِي الآية تَنْبِيهٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ حَمَلَ الْكِتَابَ: أَنْ يَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ، وَأن يَعْلَمَ مَا فِيهِ، لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنَ الذَّمّ مَا لحِق هؤلاء[١٠٥].

(١٠٤) يُنظَر "تفسير القرآن العظيم" (١١٧/٨)، للإمام ابن كثير .
(١٠٥) يُنظَر "الجامع لأحكام القرآن" (٩٤/١٨)، للإمام القرطبي .

كيف تتعلّم التوحيد، وكيف تدرسه؟

إنّ الدراسةَ العلميةَ الصحيحة للتوحيد وتعلّمه، تكون وفق المتون العلمية والكتب التي ألّفها العلماء الربّانيون، وأرشدوا إليها .

والتسلسل العلمي الذي أوصى به العلماء الراسخون في العلم، لهذه المتون والكتب، هو:

١. "ثلاثة الأصول وأدلتها" .

٢. "القواعد الأربع" .

٣. "كشف الشبهات" .

٤. "كتاب التوحيد" .

وهذه الكتب الأربعة، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب – رحمه الله – .

٥. "العقيدة الواسطية" .

٦. "الفتوى الحموية".

٧. "الرسالة التدمرية".

وهذه الكتب الثلاثة، للإمام ابن تيمية – رحمه الله – .

٨. "العقيدة الطحاوية"، للإمام أبي جعفر الطحاوي، وشرحها، للإمام

علي بن أبي العزّ .

٩. "الدرر السنية في الأجوبة النجدية"، جمع العلاّمة ابن قاسم.

١٠. "الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية"، للعلاّمة السفاريني[١٠٦].

وغيرها من مؤلفات أهل العلم الربانيين .

فينبغي لطالب العلم: أن لا يزدريَ جهودَ علمائِه وأئمتِه السابقين، وخاصةً في دراسة التوحيد وتعلّمه، قال تعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا))

[النساء:١١٥] .

وعن الْمُغِيرَةِ بْن شُعْبَةَ – ﷺ– قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: ((لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ))[١٠٧].

قال البخاري[١٠٨]: هُمْ أَهْلُ العِلم[١٠٩].

---

(١٠٦) يُنظَر لهذا التسلسل: "كتاب العلم" (ص٧٠-٧١)، للعلاّمة ابن عثيمين .

(١٠٧) رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (٤٩٨٨) .

(١٠٨) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤هـ - ٢٥٦هـ)، أحد كبار الحفّاظ والفقهاء، ومن أبرز علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة، له مصنّفات كثيرة، منها: كتاب الجامع الصحيح، المشهور باسم "صحيح البخاري"، الذي أجمع علماء أهل السنة والجماعة: أنه أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم، وطلب العلمَ منذ صغرِه، ورحل في أرجاء الأرض لطلب الحديث، حتّى لقّب بأمير المؤمنين في الحديث، وتتلّمذ عليه كثير من كبار أئمة الحديث؛ كمسلم، والترمذي . المصدر: "البداية والنهاية"، للإمام ابن كثير، ومصادر أخرى .

(١٠٩) "صحيح البخاري" (١٠١/٩) .

كما يجب عليه التواضعُ للحقّ، وأن لا يعجب بنفسِه، ولا يستبدّ برأيه، ولا يغتر بتجربتِه، ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ))[١١٠]، كما: أنّ عليه: أن يستعيذَ بالله دائماً من: أن يكونَ حالُه، كما حذّرنا سبحانه في كتابه: ((إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)) [الصافات: ٣٥] .

فالكبر صفة إبليس، و((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[١١١].

(١١٠) رواه مسلم (٦٦٨٤) .
(١١١) رواه مسلم (١٧٨) .

الشيخ الثقة المأمون

المملكة العربية السعودية – جزى اللهُ قادتَها وعلماءَها كلّ خير – في كلّ سنة يسلّمون الحجاج والمعتمرين كتباً، وكتيبات، وأشرطة في التوحيد والعقيدة، وبكميات كبيرة .

والأهم هو توفّر العلماء الذين يشرحونها موضحين الألفاظ والمصطلحات العلمية .

فإذا كان الإنسان في بلدٍ فيه علماء مجتهدون من أهل السنة والجماعة؛ فيفترَض: أن الناس يدرسون عند هؤلاء العلماء، أو عند من يأذن له هؤلاء العلماء ويزّكونه، وهذا هو الأصل، أما،إذا كان الإنسان في بلد مضت عليه عشراتُ السنين من العَلمانية، وقرون من الرافضة والصوفية والأشعرية، وليس فيه عالم من علماء أهل السنة والجماعة، فما هو الحلّ؟ .

الحلّ: هو توفر الشيخ المعلم الثقة المأمون، والدراسةِ عنده؛ فإذا كان عندنا طالب علم في بلدنا – الذي ليس فيه علماء – عُرف بالخير والاستقامة، ولم تؤخذ عليه مؤاخذات عقدية ولا منهجية في دينِه ولا في دعوته؛ فآنذاك ندرسُ عند طالب العلم هذا، والعبرة بظاهرِه، ودراستنا عنده، كحكم التيمّم بصعيد الأرض لمن لم يجد الماء .

((ومتى تكبّر المتعلمُ: أن يستفيدَ من غيرِ موصوفٍ بالتقدّم؛ فهو جاهل، لأنّ الحكمةَ ضالةُ المؤمن أينما وجدَها أخذها))[١١٢] .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: ((إِنَّ اللَّهَ، وَمَلاَئِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ؛ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ))[١١٣] .

فالمعلم الذي يعلّم الناسَ العقيدة الصحيحة أولاً، ثم ما أوجبه اللهُ عليهم، ثم ما استحبّه لهم رسولُ الله [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]؛ فهذا الرجل، هو الداعي إلى الخير، والذي يجب: أن يُحَب، وأن ينصَر، وأن يؤيَّد، وأن يُذبَّ عنه، وأن يُدعى له بظهر الغيب، وإذا كان يحتاج نصحاً، أو توجيهاً، أو إرشاداً؛ فينصَح، ويُرشَد .

أما: أن يُخذَل، أو: أن يُطعَنَ فيه، أو: أن يُصدَّ الناسَ عنه حسداً وبغياً، وهوىً وعصبية، فهذه حال المنافقين، الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين .

قال الإمام ابن أبي العزّ: إذا كَانَ الْعَبْدُ عَاجِزًا عَنْ مَعْرِفَةِ بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]، أَوِ عن الْعَمَلِ بِهِ، فَلَا يَنْهَى غيره

(١١٢) "مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ" (ص٣٢)، للإمام نجم الدين بن قدامة المقدسي .
(١١٣) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٧٩١٢)، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن" .

عَمَّا عَجَزَ هو عَنْهُ، مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]، بَلْ حَسْبُهُ: أَنْ يَسْقُطَ عَنْهُ اللَّوْمُ لِعَجْزِهِ، لَكِنَّ عَلَيْهِ: أَنْ يَفْرَحَ بِقِيَامِ غَيْرِهِ بِهِ، وَيَرْضَى بِذَلِكَ، وَيَوَدَّ: أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِهِ، وَأَنْ لَا يُؤْمِنَ بِبَعْضِهِ وَيَتْرُكَ بَعْضَهُ، بَلْ يُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ(١١٤).

(١١٤) "شرح العقيدة الطحاوية" (١٦/١)، للإمام ابن أبي العز، بشيء من التصرف والاختصار .

التفاوت في تعلم التوحيد

الناسُ في مسألة تعلم التوحيد ودراستِه، مراتب ودرجات؛ فالعامي مثلاً ليس، كطالب العلم، ولا كمَن زعم لنفسِه تبوءَ منصبِ دعوةِ الناس وهدايتِهم .

قال الإمام ابن أبي العز: وَلَا رَيْبَ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ: أَنْ يُؤْمِنَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] إِيمَانًا عَامًّا مُجْمَلًا، وَلَا رَيْبَ: أَنَّ مَعْرِفَةَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] عَلَى التَّفْصِيلِ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ .

وَأَمَّا مَا يَجِبُ عَلَى أَعْيَانِ المسلمين؛ فَهَذَا يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ قُدَرِهِمْ، وَحَاجَتِهِمْ، وَمَعْرِفَتِهِمْ، وَمَا أُمِرَ بِهِ أَعْيَانُهُمْ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْعَاجِزِ عَنْ سَمَاعِ بَعْضِ الْعِلْمِ، أَوْ عَنْ فَهْمِ دَقِيقِهِ، مَا يَجِبُ عَلَى الْقَادِرِ عَلَى ذَلِكَ، كما: أنه يَجِبُ عَلَى الْمُفْتِي، وَالْمُحَدِّثِ، وَالْحَاكِمِ، مَا لَا يَجِبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ[١١٥] .

أمّا: أن يجهلَ الإنسانُ – أيّاً كان – أصلاً من أصول العقيدة، الذي يُدخَل به في الإسلام، أو يُخرَج منه بسبب نقضِه، وهو قادرٌ متمكن من الوصول إليه؛ فهذا ضلالٌ، وإعراضٌ عن الحقّ .

(١١٥) "شرح العقيدة الطحاوية" (١/٧-٨)، للإمام ابن أبي العز .

قال الإمام ابن أبي العز: أُصُولُ دينِ الإسلام وَفُرُوعُهُ مَوْرُوثَةٌ عَنِ الرُّسُلِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ غَايَةَ الظُّهُورِ، يُمْكِنُ كُلُّ مُمَيِّزٍ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَفَصِيحٍ وَأَعْجَمَ، وَذَكِيٍّ وَبَلِيدٍ: أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ بِأَقْصَرِ زَمَانٍ، كما: أَنّه يَقَعُ الْخُرُوجُ مِنْهُ بِأَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ إِنْكَارِ كَلِمَةٍ، أَوْ تَكْذِيبٍ، أَوْ مُعَارَضَةٍ، أَوْ كَذِبٍ عَلَى اللَّهِ، أَوِ ارْتِيَابٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ رَدٍّ لِمَا أَنْزَلَ، أَوْ شَكٍّ فِيمَا نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الشَّكَّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ(١١٦).

فالواجب على الإنسان: أن لا يعرضَ عن تعلّم الأصل الذي يدخل به في الإسلام، ولهذا ترى العلماء، ومنهم الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب يسمّون هذه المسائل:"الواجبات المتحتّمات المعرفة على كلّ مسلم ومسلمة".

فهذا العلم لازمٌ، وواجبٌ على كلّ مسلم ومسلمة: أن يتعلّموه .

(١١٦)"شرح العقيدة الطحاوية"(٧٨٧/٢)، للإمام ابن أبي العز .

المناظرة في تعلّم التوحيد

حصلت مناظرة بين الموحّدين السلفيين الداعين إلى وجوب تعلّم التوحيد، مع أحد المعترضين المعرضين عن ذلك، وذلك في ١٤٤٣هـ .

- المعترِض: ما هو الدليلُ الشرعي على وجوبِ تعلم التوحيد ودراسته، وعلى: أنّ من لا يدرس التوحيد لا دين له .
- السلفي الموحد: ألم تقرأ قولَ الله عزّ وجلّ مخاطباً رسولَه [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] في (سورة مدنية)، والمراد بالخطاب عموم الأمة: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ)) الآية [مُحَمَّد: ١٩] .

أما مرَّ بك حديثُ عثمان بن عفان – ﷺ –: عن رسولِ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ: أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ))[١١٧].

فاشترط رسولُ الله [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] لدخول الجنة: أن يكونَ قائلُ (لا إله إلاّ الله)، عالماً بمعناها، وعالماً بمعنى التوحيد .

قال العلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: أمّا النطقُ بـ (لا إله إلاّ الله) من غيرِ معرفـةٍ لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه؛ فغير نافعٍ بالإجماع[١١٨] .

---

(١١٧) رواه مسلم (٤٥) .

(١١٨) "فتح المجيد" (ص٣٥)، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، بتصرف واختصار .

- **المعترض: أين الدليل؟، أريد الدليلُ على فرضِ التعلّم، وليس على فرضِ العلمِ بالتوحيد؟ .**
- **السلفي الموحد: ألم تقرأ الأدلةَ السابقة التي ذكرتُها لك؟ .**
- **المعترض: رأيتُهن كلّهن، لكن هذه الأدلة توجب العلمَ لا التعلّم، ونقاشُنا عن تكفير من لا يتعلّم التوحيد، ولا يدرسه .**
- **السلفي الموحد: هل العلمُ بالتوحيد شرطٌ في صحة التوحيد؟ .**
- **المعترض: العلم، وليس التعلّم .**
- **السلفي الموحد: أجبني أولاً، هل العلمُ بالتوحيد شرطٌ في صحةِ التوحيد؟ .**
- **المعترض: يا أخي، إذا اتجه المسلمون إلى تعلّم ودراسة التوحيد؛ فمن يدرس الفقه؟، ومن يدرس الجرح والتعديل؟، ومَن يدرس التفسير وعلوم القرآن.. إلخ؟ .**
- **السلفي الموحد: أجبني أولاً، هل العلمُ بالتوحيد شرطٌ في صحة التوحيد؟ .**
- **المعترض: بالتأكيد، وإلاّ كيف سيكون الاعتقاد للتوحيد من غير علم!! .**

- **السلفي الموحد: ما حكمُ من ليس له علم بالتوحيد؟ .**
  - **المعترض: مَن ليس عنده علمٌ بالتوحيد، يعني: ما عنده اعتقاد، يعني: هو كافر، أو مشرك .**
- **السلفي الموحد: هل العلمُ بالتوحيد يكون عن طريقٍ غير طريق التعلّم؟.**
  - **المعترض: أنا أسأل: هل تعلّم التوحيد ودراستُه لها حدود، أو وقت معين؟ .**
- **السلفي الموحد: أجبني أولاً، هل العلم بالتوحيد يكون عن طريقٍ غير التعلّم؟ .**
  - **المعترض: بالتأكيد العلم لا يكون إلاّ عن طريق التعلّم .**
- **السلفي الموحد: إذن صار التعلّم للعلمِ بالتوحيد شرطاً في صحة التوحيد .**

عن مُعَاوِيَةَ بن أَبي سفيان – رضي الله عنهما – **قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ** [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]: **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))**[(١١٩)] .

فتأمل – هداك الله – **في الشرط: ((إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ)) .**

---

(١١٩) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩٢٩)، وحسّنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" .

أما: أن تقول: (أنا موحّد)،من غير تعلّم للتوحيد، ولا دراسة للتوحيد، فهذه، هي بضاعةُ العاجزين والبطالين!!.

- المعترض: لكن هل للتعلّم حدود، أو وقت معين؟ .
- السلفي الموحد: نقرّرُ الأصلَ أولاً، ثم نقرّر الفرعَ ثانياً.. هل ثبت عندك الآن: أن التعلّم للعلمِ بالتوحيد، هو شرطٌ في صحة التوحيد؟ .
- المعترض: نعم، اتفقنا في هذا .
- السلفي الموحد : وهذه، هي دعوتنا – من فضل الله علينا –؛ فما هو سؤالك التالي؟ .
- المعترض: سؤالي هل لتعلّم التوحيد ودراستِه حدود، أو وقت معين؟ .
- السلفي الموحد: هل العلمُ بالتوحيد وتعلّمه، من (أصلِ الإيمان)، أم من (كمالِه)؟ .
- المعترض: من (أصل الإيمان) .
- السلفي الموحد: هل الناسُ يتفاضلون في (أصل الإيمان)، وتتفاوت فيهم درجاتُهم، أم لا؟ .
- المعترض: بالتأكيد: أنهم يتفاوتون فيه .
- السلفي الموحد: إذن ثبت: أنه ليس له حدود، ولا منتهى، ولا وقت

معيّن .

قال العلامة مُحَمَّد بن مانع[١٢٠]: الحقّ – الذي لا إشكال فيه –: أن الإيمانَ متفاوتٌ في أصلِه، فإيمانُ آحادِ الناس ليس كإيمانِ جبريل، ولا كإيمان رسول الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]، والقول: بأن الناسَ في (أصل الإيمان) سواء، ليس من عقائد أهل السنة[١٢١].

وقال الإمام ابن أبي العز: تَفَاوُتُ نُورِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فِي قُلُوبِ أَهْلِهَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ نُورُهَا فِي قَلْبِهِ، كَالشَّمْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهَا فِي قَلْبِهِ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ، وَآخَرُ، كَالْمِشْعَلِ الْعَظِيمِ، وَآخَرُ، كَالسِّرَاجِ الْمُضِيءِ، وَآخَرُ، كَالسِّرَاجِ الضَّعِيفِ، وَلِهَذَا تَظْهَرُ الْأَنْوَارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَيْمَانِهِمْ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَلَى هَذَا الْمِقْدَارِ، بِحَسَبَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَكُلَّمَا اشْتَدَّ نُورُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَعَظُمَ، أَحْرَقَ مِنَ الشُّبُهَاتِ

---

(١٢٠) هو العلاّمة الفقيه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع التميمي النجدي (١٣٠٠- ١٣٨٥هـ)، ولد في عنيزة، وقرأ على علماء بلده، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره سافر إلي بغداد واتصل بالعلاّمة السلفي محمود شكري الألوسي؛ فقرأ عليه وعلى غيره من مشاهير العلماء ببغداد، ثم توجّه إلي مصر؛ فأقام في الأزهر مدة، ثم سافر إلي دمشق ولازم الشيخ جمال الدين القاسمي، ثم دعاه حاكم قطر آنذاك عبد الله بن قاسم آل ثاني؛ فتولى القضاء والخطابة والتدريس فيها، ثم قدم على الملك عبد العزيز آل سعود في مدينة الرياض؛ فأكرمه، وعيّنه رئيساً لهيئات: هيئة التمييز، وهيئة الأمر بالمعروف، وهيئة الوعظ والإرشاد، ثم طلبه حاكم قطر مرة ثانية، وبقي فيها إلى وفاته، ودفن فيها، من مؤلفاته: "تحديق النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر"، و"سبل الهدى شرح قطر الندى"، و"الكواكب الدرية شرح الدرة المضيئة" .
المصدر: "مشاهير علماء نجد"، للعلاّمة عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .
(١٢١)"التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية"(ص٣٧)، جمع: أحمد بن يحيى الزهراني.

وَالشَّهَوَاتِ بِحَسَبَ قُوَّتِهِ، بِحَيْثُ: إِنَّهُ رُبَّمَا وَصَلَ إِلَى حَالٍ لَا يُصَادِفُ شَهْوَةً، وَلَا شُبْهَةً، وَلَا ذَنْبًا، إِلَّا أَحْرَقَهُ، وَهَذِهِ حَالُ الصَّادِقِ فِي تَوْحِيدِهِ، فَسَمَاءُ إِيمَانِهِ قَدْ حُرِسَتْ بِالرُّجُومِ مِنْ كُلِّ سَارِقٍ[١٢٢]، فنسأل اللهَ: أن يجعلنا من أهلها .

- المعترض: أريد دليلاً على ذلك؟ .
- السلفي الموحد: قال تعالى: ((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) [يوسف: ١٧٩] .
- المعترض: أنت الآن بكلامك هذا تكفّر (٩٩%) من المسلمين في العالم .
- السلفي الموحد: هذا لا يلزم، وانتبه إلى: أننا نتكلّم في (الكفر) وحدوده، وليس في (التكفير) وضوابطه، وأنت بسؤالك هذا خلطت بينهما .
- المعترض: أنا لم أخلط بينهما، فهذا يؤدي الى هذا .
- السلفي الموحد: هل هناك تلازم بين (الكفر)، وبين (التكفير)؟ .
- المعترض: هل الذي لا يدرس التوحيد كافر؟ .
- السلفي الموحد: أجبني أولاً، هل هناك تلازم بين (الكفر)، وبين (التكفير)؟ .

(١٢٢) "شرح العقيدة الطحاوية" (٤٦٤/٢)، للإمام ابن أبي العزّ .

والإمام ابن تيمية يقول: وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ الْأَئِمَّة لَمَّا قَالُوا: (مَنْ قَالَ كَذَا، فَهُوَ كَافِرٌ)، اعْتَقَدَ الْمُسْتَمِعُ:أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ شَامِلٌ لِكُلِّ مَنْ قَالَهُ، وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا: أَنَّ التَّكْفِيرَ لَهُ شُرُوطٌ وَمَوَانِعُ، قَدْ تَنْتَفِي فِي حَقِّ الْمُعَيَّنِ، وَأَنَّ تَكْفِيرَ الْمُطْلَقِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَكْفِيرَ الْمُعَيَّنِ، إلَّا، إذَا وُجِدَتْ الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتْ الْمَوَانِعُ[١٢٣]؛ فلا تلازم بين (الكفر)، وبين (التكفير) .

- المعترض: نكمل النقاش فيما بعد .
- السلفي الموحد: هروبٌ، كعادتِكم، والحمد لله الذي نصر الحقّ .

(١٢٣) "مجموع الفتاوى" (١٢/٤٨٧-٤٨٨)، للإمام ابن تيمية، بشيء من التصرف والاختصار .

الخلاصة

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ – ﷺ – قَالَ: ((بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] عَلَى: أَنْ لَا أَخِرَّ، إِلَّا قَائِمًا))[١٢٤] .

قال الإمام البغوي[١٢٥]: يَعْنِي: أَن لَا أَمُوتَ، إِلاّ ثَابِتًا عَلَى الإِسْلامِ، مُوَاظِباً عَلَى الدِّينِ، فالْمُرَادُ مِنَ الْقِيَامِ: التَّمَسُّكُ بِالدِّينِ، وَالْقِيَامُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ: ((مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ)) [آل عمرَان: ١١٣][١٢٦] .

فالبيعة بين النبيّ [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] وأصحابه، كانت على: أن لا يموتَ الواحدُ منهم، إلاّ على التوحيد: (علماً، وعملاً، ودعوةً، وصبراً)، وواجبنا، كطلابِ علمٍ ودعاة: أن ننبّه، وأن نذّكر: أن تركَ تعلّم التوحيد ضلالٌ وزيغ؛ فاحذروه .

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ – ﷺ – قال: قال رسولُ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟، قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ،

(١٢٤) رواه أحمد (١٥٣١٢)، والنسائي (١٠٨٤)، وصححه الألباني في "صحيح السنن" .
(١٢٥) هو الإمام السلفي، الحافظ، المفسّر، مُحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (٤٣٣- ٥١٦هـ)، وُلِد في خراسان، وألّف التصانيف، كـ "شرح السنة"، و"معالم التنزيل"، و"الجمع بين الصحيحين".
(١٢٦) "شرح السنة" (١٠٦/١)، للإمام البغوي، بشيء من التصرف والاختصار .

وَعَامَّتِهِمْ))[١٢٧].

وعن أنسِ بن مالك – ﷺ – قال: قال رسولُ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم]: ((لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ مِنْ الْخَيْرِ))[١٢٨].

فنسأل اللهَ: أن يمُنَّ علينا بالأمن والإيمان، والسلامةِ والإسلام، ((اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا حَاسِدًا، وَاللَّهُمَّ: إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ))[١٢٩].

(١٢٧) رواه مسلم (١٠٦) .
(١٢٨) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٧٩)، وأحمد (١٣٦٢٩) - والسياق له - .
(١٢٩) رواه الحاكم (١٩٧٦)، وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة" .

الرسالةُ الثانيـة

التوحيدُ ليس تركُ الشرك، فقط

تمهيد

من الاعتقاداتِ الفاسدة التي تعشعَشت في أذهان البعض،تصوّر: أن التوحيدَ، هو تركٌ للشرك، فقط!!، وأنك، إذا ما كنتَ لا تنذر لغير اللَّه، ولا تذبح لغير اللَّه، ولا تستغيث بغير اللَّه، ولا تطوف حول قبر – فقط –؛ فأنت الموحّد!! .

ومن المعلوم: أن أوقاتَ الخير والبركة في أمّة مُحَمَّد [صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم] هي – بالدرجة الأولى – في القرون الثلاثة الأولى، وبعدها بدأ الإنحدار والنزول عند البعض، ومن مظاهر هذا الإنحدار والنزول: جَهْلُ البعض بإجماعِ أهلِ السنّة والجماعة على: أن التوحيدَ: (نَهيٌ وأمر)، و(تركٌ وفعل)، و(ولاءٌ وبراء)، و(نفيٌ وإثبات)، وأن التوحيد ليس (تركاً) فقط، وليس (نَهياً) فقط، وليس (براءً) فقط، وليس (نفياً) فقط .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: معنى: (لا إله إلاّ الله): فـ (الإله) هو المألوه المعبود الحقّ، وقيامُك بالإلهيةِ والعبودية له سبحانه، عملٌ من الأعمال، ونفيك لها عن غير اللَّهِ، تركٌ من التروك[١٣٠].

والسبب في تَعشعُش هذه الاعتقادات الخاطئة: أن الموحّد، في هذا الزمان وما قبله: إنما يعالج تراكمات وتناقضات ألف عام!!، ألفَ عام من الإرجاء،

---

(١٣٠) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٣٦٣)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

وألفَ عام من الأشعرية، وألفَ عام من الصوفية، وألفَ عام من ترك التوحيد وفعل الشرك، وإذا كان أمير المؤمنين عمر بن العزيز – رحِمه الله – يقول في زمانه: ((إِنِّي أعالج امراً لَا يعين عَلَيْهِ إِلَّا اللَّه، قد فَنِي عَلَيْهِ الْكَبِير، وَكبر عَلَيْهِ الصَّغِير، وفصح عَلَيْهِ الأعجمي، وَهَاجَر عَلَيْهِ الْأَعرَابِي، حَتَّى حسبوه ديناً، لَا يرَوْنَ الْحقَّ غَيره))[١٣١]؛ فكيف بزماننا نحن؟!.

(١٣١) "سيرة عمر بن عبد العزيز" (ص٤٢)، لعبد الله بن عبد الحكم المصري .

العبودية لله قائمة على (الترك ، والفِعل)

إذا قائل قائلٌ: (التوحيد، هو: ترك الشرك، فقط)، قلنا له: بل هو (تركٌ للشرك، وفعلٌ للتوحيد)، فإن قال: وكيف أفعلُ التوحيد؟، قلنا له: بتحقيق العبودية للَّه عزّ وجل: بأن تتعلّم التوحيد، وتعملَ به، ويثمر ذلك لك: الأمرين الكبيرَين: (منتهى المحبة، مع منتهى التذلّل والتعظيم) .

قال العلاّمة ابن عثيمين[١٣٢]: العبودية لله مبنية على أمرين عظيمين، هما:

١. منتهى المحبة .

٢. منتهى التذلّل والتعظيم .

والناتج عنهما: ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً))

[الأنبياء: ٩٠] .

فبالمحبة، تكون الرغبة، وبالتعظيم، تكون الرهبة، ولهذا كانت العبادة (أوامر،

(١٣٢) هو العلاّمة محمد بن صالح العُثيمين التميمي (١٣٤٣- ١٤٢١هـ)، من مواليد عنيزة في منطقة القصيم، العالم، الفقيه، المفسّر، عضو هيئة كبار العلماء، ويُعدّ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أبرز شيوخه، فقد لازمه، وتأثّر به تأثيراً جعلهُ يكون خلفه في الإمامة والخطابة والتدريس في الجامع الكبير في عنيزة، وأما الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فهو شيخه الثاني، قرأ عليه في المعهد العلمي في الرياض، وفي بعض الدروس الخاصة بمدينة الرياض، والشيخ له المؤلفات العديدة من الكتب، والرسائل، والشروح للمتون العلمية، وقد بلغت أكثر من تسعين كتاباً ورسالة؛ بخلاف أشرطة الدروس والمحاضرات التي تقدر بآلاف الساعات .
المصدر: الموقع الرسمي للشيخ .

ونواهي): (أوامر) مبنية على المحبة والرغبة، وطلبِ الوصول إلى الآمر، و(نواهي) مبنية على التعظيم والرهبةِ من هذا العظيم[١٣٣]، فلذلك كانت العبادة اسْم يجمع كَمَالَ الذل ونهايتِه، وَكَمَالَ الْحبّ للهِ ونهايتِه، فالحبُّ الخلي عَن الذلّ، والذلّ الخلي عَن الحبّ، لَا يكون عبَادَة، وَإِنَّمَا الْعِبَادَة مَا يجمع كَمَال الْأَمريْنِ[١٣٤].

(منتهى المحبة)، هي: طلبُ القُربِ من الله تعالَى، والتوسّلُ إليه بالأعمال الصالحة .

قال الإمام ابن القيم: المحبةُ، هي: تحرُّكُ المحب في طلبِ محبوبِه[١٣٥] .

قال تعالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

فتحبّ اللَّهَ أكبر من أي شيء، وضد ذلك[١٣٦]: بغض شيءٍ فيه ذكر الله، أو بغض شيءٍ مما جاء به رسولُ الله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] .

(منتهى التذلّل والتعظيم)، هو: الخضوعُ لله، والانقيادُ لشرعِه، وأن

---

(١٣٣) "شرح العقيدة الواسطية" (ص ٢٥)، للعلامة ابن عثيمين، بشيء من التصرف والاختصار .
(١٣٤) تُنظَر "التحفة العراقية في الأعمال القلبية" (٤٤)، للإمام ابن تيمية .
(١٣٥) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" (١٣٢/٢)، للإمام ابن القيم، بتصرف يسير .
(١٣٦) تُنظَر "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٥و٨)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، في موضوع: (نواقض الإسلام، وأنواع النفاق الأكبر) .

ترى نفسَك دائماً، وهي مقصِّرةٌ في حقِّ ربِّها سبحانه[١٣٧] .

قال تعالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ [نوح: ١٣].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: أي: مالكم لا تعظِّمون اللهَ حقَّ عظمتِه[١٣٨].

فتتذلّل للَّهِ، وتعظّمه أكبر من أيّ شيء، وضد ذلك[١٣٩]: الاستكبار على شيءٍ فيه ذكر الله، أو الاستكبار على شيءٍ مما جاء به رسولُ الله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] .

(١٣٧) يُنظَر "فتح المجيد"، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص٥٠٥) .
(١٣٨) يُنظَر "تفسير القرآن العظيم" (٢٣٣/٨)، للإمام ابن كثير .
(١٣٩) تُنظَر "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٧)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في موضوع: (أنواع الكفر الأكبر) .

الإيمان، وأنواع الناس فيه

قال الإمام ابن القيم: وَأما الْإِيمَان؛ فَأكْثر النَّاس، أَو كلّهم، يَدعُونَهُ، ((وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)) [يوسف: ١٠٣] .

وَأكْثر الْمُؤمنِينَ: إِنَّمَا عِنْدهم إِيمَان مُجمل .

وَأما الْإِيمَان الْمفصّل بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: معرفَةً، وعلماً، وإقراراً، ومحبةً، وَمَعْرِفَةً بضدّه، وكراهيتِه، وبغضِه لهذا الضدّ؛ فَهَذَا إِيمَان خَواص الْأمة .

١. وَكثيرٌ من النَّاس حظّهم من الْإِيمَان: الْإِقْرَار بِوُجُود الصَّانِع، وَأَنه وَحده الَّذِي خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا، وَهَذَا ما أنكره عبّاد الْأَصْنَام من قُرَيْش، وَنَحْوهم.

٢. وَآخَرُونَ الْإِيمَان عِنْدهم: هُوَ التَّكَلُّم بِالشَّهَادَتَيْنِ، سَوَاء كَانَ مَعَه عمل، أَو لم يكن، وَسَوَاء وَافق تَصْدِيق الْقلب أَو خَالفه .

٣. وَآخَرُونَ عِنْدهم الْإِيمَان: مُجَرّد تَصْدِيق الْقلب: بِأَن اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَالق السَّمَوَات وَالْأَرْض، وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، وَإِن لم يقر بِلِسَانِهِ، وَإِن لم يعْمل شَيْئاً، بل وَلَو أتى بِكُل كبيرة .

٤. وَآخَرُونَ عِنْدهم الْإِيمَان، هُــوَ: جحد صِفَات الربّ تَعَالَى، من علوِه،

وتكلّمه بكلماتِه، وسَمعه، وبصرِه، ومشيئتِه، وحبِّه، وبغضِه، وَغير ذَلِك.

٥. وَآخَرُونَ عِنْدهم الْإِيمَان: عبَادَة اللَّه بِأذواقهم، وَمَا تهواه نُفُوسهم، من غير تَقْيِيد بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول .

٦. وَآخَرُونَ الْإِيمَان عِنْدهــم: مَا وجدوا عَلَيْهِ آبَاءَهُم وأسلافهم بِحكم الِاتِّفَاق، كَائِنــاً مَا كَانَ .

٧. وَآخَرُونَ الْإِيمَان عِنْدهم: مَكَارِم الْأَخْلَاق، وَحسن الْمُعَامَلَة، وطلاقة الْوَجْه، وإحسان الظَّن بِكُل أحد .

٨. وَآخَرُونَ الْإِيمَان عِنْدهم: التجرّد من الدُّنْيَا وعلائقها، والزهد فِيهَا .

٩. ومنهم من جعل الْإِيمَان، هُوَ: مُجَرّد الْعلم، وَإِن لم يقارنه عمل .

وكل هَؤُلَاءِ لم يعرفوا حَقِيقَة الْإِيمَان، وَلَا قَامُوا بِهِ، وَلَا قَامَ بهم .

وملخّص أَنْوَاعهم:

أ. مِنْهُم من جعل الْإِيمَان مَا يضاد الْإِيمَان .

ب. وَمِنْهُم من جعل الْإِيمَان مَا لَا يعْتَبر فِي الْإِيمَان .

ج. وَمِنْهُم من جعله مَا هُوَ شَرط فِيهِ، وَلَا يَكْفِي فِي حُصُوله .

د. وَمِنْهُم من اشْترط فِي ثُبُوته مَا يناقضه ويضاده .

هـ. وَمِنْهُم من اشْترط فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ .

وَالْإِيمَان غير ذَلِك كُلّه، بل هُوَ: حَقِيقَة مركبة من معرفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] علماً، والتصديق بِهِ اعتقاداً، وَالْإِقْرَار بِهِ نطقاً، والانقياد لَهُ محبَّة وخضوعاً، وَأَن يكونَ اللَّهُ وَحده إلهه ومعبوده، وَالْعَمَل بالإيمان بَاطِناً وظاهراً، والدعوة إِلَيْهِ بِحَسب الْإِمْكَان .

وأوثق عراه: الْحبّ فِي اللَّه، والبغض فِي اللَّهِ، وَالعطَاء للَّه، وَالْمَنْع للَّه .

وَالطَّرِيق إِلَيْهِ: تَجْرِيد مُتَابعَة رَسُولِه، ظَاهراً وَبَاطناً، وتغميض الْقلب عَن الالْتِفَات إِلَى سوى اللَّهِ وَرَسُولِه، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق(١٤٠).

(١٤٠) "الفوائد" (ص١٠٥-١٠٧)، للإمام ابن القيم، بشيء من التصرف والاختصار.

التوحيد: (تركٌ ، وفعل)

التوحيدُ يقوم على أساس: (الترك، والفعل)، وهما ركناه اللذان لا يصح بدونهما، وقد تقدّم قولُ الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: معنى: (لا إله إلاّ الله): فـ (الإله) هو المألوه المعبود الحقّ، وقيامُك بالإلهيةِ والعبودية له سبحانه، عملٌ من الأعمال، ونفيك لها عن غير اللَّهِ، تركٌ من التروك[١٤١].

١. أركان: (لا إله إلاّ الله)، دالّة على: أنه (تركٌ، وفعل):

(لا إله إلاّ الله) قامت على ركنين[١٤٢]:

النفي، ومعناه: الكفرُ، والنفي، والبراءة من كلّ معبودٍ يُعبَد من دون الله .

والإثبات، ومعناه: الإيمان والإثبات والوَلاء لمعبودٍ واحد يستحق العبادة وحده لا شريكَ له، وهو الله سبحانه: بأن نعبدَه ونحبَّه سبحانه أكبر من أي شيء، وأن نعظمَه ونتذلّلَ له سبحانه أكبر من أي شيء .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: والدليل قوله تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)) [الإسراء:٢٣] .

((أَلَّا تَعْبُدُوا))، فيه معنى (لا إله)، (أي: النفي، والترك) .

((إِلَّا إِيَّاهُ))، فيه معنى (إلاّ الله)، (أي: الإثبات، والفعل)[١٤٣] .

---

(١٤١) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٣٦٣)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

(١٤٢) يُنظَر "شرح كشف الشبهات" (ص٣٥)، للإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

(١٤٣) تُنظَر "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٣٤٣/١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

٢. شروط: (لا إله إلاّ اللّهَّ)، دالّة على: أن: التوحيد (تركٌ، وفعل):

وعند تأمّلك في شروط: (لا إله إلاّ اللَّه) الثمانية – والتي تقدّم شرحها في (ص٢٥– ص٢٦) – ستجد: أن سبعةً من شروطها، وهي: (العلم، والْيَقِينُ، والإخلاص، والصَّدْقُ، وَالْمَحَبَّةُ، والانْقِيَادُ، والقُبُولُ)، كلّها (إثباتٌ للتوحيد، وفعلٌ له، وأمرٌ به، وولاءٌ فيه)، وكلّها عند التأمّل (أفعال)، لا (تُروك) .

٣. شروطُ الحنيفية، وحالاتُها، دالّة على: أن التوحيد (تركٌ، وفعل):

(شروطُ الحنيفية) الثمانية[١٤٤]، والتي جُمِعت في قولِه تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ)) [يونس:١٠٤-١٠٦]، الشرط الثانِي منها، هو فِي قولِه تعالى: ((وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ)) .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب شارحاً له: إن كثيراً من الناس إذا عرف

(١٤٤) يُنظَر "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص١١٣- ١١٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

الشركَ، وأبغضه، وتركَه، لا يفطن لما يريد اللهُ من حقٍّ في قلبِه من إجلالِه سبحانه، ومحبتِه، وتعظيمِه، وهيبتِه؛ فذكَّر بهذه الحال بقوله: ((وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ)) .

٤. (قاعدة الإسلام وأصله)، دالّة على: أن التوحيد (تركٌ، وفعل):

قاعدة الإسلام، هي: (الولاء والبراء)[١٤٥]:

الأَوَّلُ، (الوَلاء)، وهو: الأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّاكيد عَلَى ذَلِكَ، وَالْمُوَالاَةُ فِيهِ، وَالبراءةُ مَمَنْ تَرَكَهُ .

الثَّانِي، (البَراء)، وهو: الإِنْذَارُ عَنِ الشِّرْكِ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَالتَّغْلِيظ فِي ذَلِكَ، وَالْمُعَادَاةُ فِيهِ، وَالبراءةُ مَمَنْ فَعَلَهُ .

والدليل: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: إنّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيْمَانِ: **((الْمُوَالاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ))**[١٤٦] .

فالشيخ الإمام نبَّه هنا على: أنّ أصلَ الدين وقاعدتَه أمران:

الأول: هو (النفي، والترك، والنهي، والبراء) .

والثاني: هو (الإثبات، والفعل، والأمر، والولاء).

---

(١٤٥) تُنظَر "الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة" (ص٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(١٤٦) رواه الطبرانِي فِي "المعجم الكبير" (١١٥٣٧)، وحسّنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" .

دعوة الأنبياء لأممِهم: أن التوحيد: (ترك، وفعل)

في قصص الأنبياء، ودعوتهم لأممهم، تظهر الدلائل البينات الواضحات، التي تثبت: أنّ التوحيدَ ليس تركاً للشرك، فقط:

١. ما جاء عن نبيّنا محمد [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]:

عن مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ - رضي الله عنه - قال: ((قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِهِنَّ - لِأَصَابِعِ يَدَيْهِ -، أَلَّا آتِيَكَ، وَلَا آتِيَ دِينَكَ، وَإِنِّي كُنْتُ امْرَأً لَا أَعْقِلُ شَيْئًا، إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِمَا بَعَثَكَ رَبُّكَ إِلَيْنَا؟، قَالَ: بِالْإِسْلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا آيَاتُ الْإِسْلَامِ؟، قَالَ: أَنْ تَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ))[١٤٧].

فالنبيُّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، وهو يربّي الصحابة - ﷺ -، فسَّر الإسلامَ بدايةً بالركن الأول، والأعظم، والأهم، وهو التوحيد: ولا إله إلا الله، ثم فسّر ذلك؛ بأنه: ((أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَخَلَّيْتُ))، وهذا

(١٤٧) رواه أحمد (٢٠٠٤٣)، والنسائي (٢٥٦٨)، وحسّنه الألباني في "صحيح السنن".

يثبتُ: أن التوحيد: (نفيٌ، وإثبات)، و(ترك، وفعل)، و(ولاءٌ، وبراء) .

٢. ما جاء عن الخليل إبراهيم ﷺ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))

[الزُخرف:٢٦-٢٨] .

قال الشيخُ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: قولُ الخليلِ - عليه السلام - للكفار: ((إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي))؛ فاستثنى من المعبودين ربَّه، ثم ذكَر سبحانه: أن هذه البراءة [، أي: النفي، والترك]، وأن هذه الموالاة [، أي: الإثبات، والفعل]، هي تفسيرُ شهادةِ: أن لا إله إلاَّ الله(١٤٨) .

قال الإمام ابن كثير: هَذِهِ الْكَلِمَةَ، هِيَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَهي: عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْع مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ، جَعَلَهَا سبحانه دَائِمَةً فِي ذُرِّيَّةِ إبراهيم يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا(١٤٩) .

٣. ما جاء عن الصدّيق يوسف ﷺ:

قولُه تعالى: ((وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ

(١٤٨) "كتاب التوحيد" (ص٢٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بتصرف واختصار .
(١٤٩) "تفسير القرآن العظيم" (٢٢٥/٧)، للإمام ابن كثير، بشيء من التصرف والاختصار .

الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ))

[يوسف: ٣٦-٣٨] .

ومحل الشاهد هو قوله تعالى: ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)) .

فنبيّ اللهِ يوسف ﷺ، لقّنهم التوحيد، القائم على أساس: (النفي، والإثبات)، و(الترك، والفعل)، و(الأمر، والنهي)، و(الولاء، والبراء) .

قال الشيخُ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: ذكَرَ يوسفُ ﷺ سببَ إكرامِ اللهُ له بهذا الفضل، وهو: (الترك، والفعل)، فتَرَكَ الشركَ - الذي هو مسلكُ

الجاهلين-، واتبعَ التوحيدَ - الذي هو سبيلُ أهلِ العلم من الأنبياءِ وأتباعِهم-[١٥٠].

(١٥٠) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص١٤٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار.

من أقوال العلماء في: أن التوحيد: (ترك ، وفعل)

١. الإمام ابن القيم:

قال – رحمه الله –: يَكْفِي فِي الْهَلَاكِ تركُ نفسِ التَّوْحِيدِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَإِن لم يَأْتِ بضدِّه من الشّرك، فمَتى خلا قلبُه من التَّوْحِيد؛ فَلم يوحّد اللهَ؛ فَهُوَ هَالكٌ، وإن لم يعبد مَعَه غَيره، فَإِذا انضاف إلى ذلك عبَادَةُ غَير الله، عُذّب على تركِ التَّوْحِيدِ – الْمَأْمُور بِهِ –، وَعلى فعلِ الشّركِ – الْمنْهِي عَنهُ –، والْمَدْعُو إِلَى الْإِيمَان، إِذا قَالَ: لَا أصدّق، وَلَا أكذب، وَلَا أحبّ، وَلَا أبْغض، وَلَا أعبده، وَلَا أعبد غَيره، كَانَ كَافِرًا بِمُجَرَّد التّرْك، والإعراض[١٥١].

ويؤكّد – رحمه الله – هـذا المعنى بقولِه: ((المعرضُ عن التوحيد مشركٌ، شاء، أم أبى))[١٥٢].

فالإعراض عن التوحيدِ شركٌ، لأنك أعرضتَ عنه، وعن تعلّمه، وعن العمل به، فلذلك وقعَ في الشرك، وهذه عقوبةُ كلّ من ضيّع (الأمرَ، والإثباتَ، والولاءَ، والفعلَ) للتوحيد .

---

(١٥١) "الفوائد" (ص١٢١)، للإمام ابن القيم، بشيء من التصرف والاختصار.
(١٥٢) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" (٢١٤/١)، للإمام ابن القيم .

٢. اللجنة الدائمة للإفتاء:

أفتت اللجنة: ((هدى اللهُ أهلَ السنّة والجماعة إلى القولِ الحقّ من: أن الكفرَ يكون بـ (القولِ، والفعلِ، والتركِ، والاعتقادِ، والشكّ، كما قامت على ذلك الدلائل من الكتاب والسنة))[١٥٣] .

فجعلت اللجنةُ التركَ للتوحيد، وعدم فعلِه، كفراً .

٣. العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني:

قال – رحمه الله –: إن كثيرًا من المسلمين لا يوجهون العبادات إلى غير الله عز وجل، لكنّ ذهنَهم خالٍ من العقائد الصحيحة التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة، لأنهم لم يتلقَوا العقيدة الصحيحة من كلّ الجوانب التي تعرّض لبيانِها كتابُ ربّنا، وأحاديثُ نبيّنا [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، فأنا أريد: أن أبيّن هنا: أن عقيدةَ التوحيد – بكلّ لوازمِها ومتطلباتِها – ليست واضحةً في أذهانِ كثيرٍ ممن آمنوا بالعقيدة السلفية، فضلاً عن الآخرين؛ فالمسألة إذن ليست بالسهولة التي يتصوّرها بعض الدعاة[١٥٤] .

٤. العلاّمة عبد العزيز الراجحي:

قال – حفظه الله –: الكفرُ يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالعمل،

---

(١٥٣) "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الثانية) (١٣٤/٢)، برئاسة الإمام ابن باز .
(١٥٤) "التوحيد أولا يا دعاة الإسلام" (ص٢٠-٢٣)، للعلاّمة الألباني، بتصرف واختصار .

ويكون، كذلك بالرفضِ، والتركِ، والإعراضِ عن دين الله[١٥٥].

فجعل – حفظه الله – التركَ للتوحيد، وعدم فعلِه، كفراً .

(١٥٥) "شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد" (ص٢٤)، للعلاّمة الراجحي، بشيء من التصرف والاختصار.

الخلاصة

١. أن عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد: أنه: (نهيٌ، وأمر)، و(تركٌ، وفعل)، و(ولاءٌ، وبراء)، و(نفيٌ، وإثبات)، وأن حصره بمجرد: (لا تذبح، ولا تنذر لغير الله): إنما هو تحريف له .

٢. وأن (الأمرَ، والفعلَ، والولاءَ، والإثبات)، هو تحقيقُ العبودية لله عزّ وجل، بتحقيق منتهى المحبةِ لله، ومنتهى التذلّل والتعظيم له سبحانه، وأن الطريق الى ذلك لا يكون إلاّ عن طريق تعلّم التوحيد، والعمل به .

٣. وأن كون التوحيد: (نهيٌ، وأمر)، و(تركٌ، وفعل)، و(ولاءٌ، وبراء)، و(نفيٌ، وإثبات)، هو دعوة الأنبياء والمرسلين، ومن سلك سبيلهم من العلماء المصلحين .

الرسالةُ الثالثة

وجوب العمل بالتوحيد

تمهيد

يظنُّ البعض: أنّ التوحيدَ، هو مجردُ المعرفةِ القلبية: بأن لا توجّه عبادةً لغير الله!!، وجهِلوا وتجاهلوا، وغفلوا، وتغافلوا: أن من أصولِ التوحيد، وقواعدِ الملّة: كون التوحيد: (اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح)، وهو الأمرُ الذي أجمع عليه أهلُ السنّة والجماعة؛ فصار العملُ بالتوحيد عندهم من (أصل الإيمان)، الذي يكفُر تاركُه .

واعتقاد: أنّ التوحيدَ هو مجردُ المعرفةِ القلبية: بأن لا توجّه عبادةً لغير الله، كان من أسباب انتشار شركيات الجوارح واللسان في الأمة؛ لأن عقيدةَ القلب سليمةٌ بزعمهم!!؛ فلذلك كان حالُهم، كما، قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ، وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ به؛ لخَوْفِ نَقْصِ دنيَاهُ، أَوْ جَاهِهِ، أو رئاستِه، أَوْ مُلْكِهِ![١٥٦] .

بل إنك ترى من يعرف التوحيد، ويترك العمل به؛ لخوفِ نقص مرتّبِه، أو لعدم حصولِه على شهادته الدراسية، أو لخشية مفارقة زوجتِه وأولاده، أو لتأخر بيع زرعِه، أو لطردِه من مسكنِه وأرضِه!! .

لذلك كان المروّجون لهذا المعتقد – الذين خضعوا لضغوط الواقع، وجاملوا

---

(١٥٦) "كشف الشبهات" (ص٥٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بتصرف واختصار .

على حسابِ الحقّ – من أعظمِ أسباب تشويه صورة الإسلام ومنهج السلف، وانصراف الشباب عنه، ووقوعهم: إما في أحضان الغلو والتطرف، وإما في أحضانِ العَلمانية والإلحاد .

يقول العلاّمة الألباني، مبيّناً سبب تأخر الدعوة وانحسارِها: السبب في ذلك، هو: فقدان الإخلاص في الدعوة، فالدعاة لم يقوموا بالحقّ، كما ينبغي؛ وهذا دليل على: أنّهم لم يكونوا مخلصين في دعوتهم، وإلاّ لِمَ هذا التأخر والإنصراف عن الدعوة؟!.

السبب، هو: عدم الإخلاص، وعلاجه اللجوء إلى الله، والتذكير بهذا الواجب[١٥٧]، ونسأل اللهَ: أن يوفقنا لذلك .

(١٥٧) "دروس، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني" (٥/٧)، بشيء من التصرف والاختصار .

لا يكفي في التوحيد: الاعتقاد القلبي، فقط

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: توحيدُ الله يكون على القلب واللسان والجوارح؛ فإذا اختلّت واحدةٌ من هذه الثلاث، كفَر الإنسانُ بذلك وارتدّ:

١. على القلب: بالاعتقاد بالتوحيد، وبالحبّ والبغض، والولاء والبراء .

٢. وعلى اللسان: بالنطقِ بالتوحيد، وترك النُّطق بالكفر .

٣. وعلى الجوارح: بفعل أعمالِ الإسلام على وجه التسليم والإخلاص، وبترك الأفعال التي تكفّر .

مثال ترك عمل القلب الذي يكفّر صاحبه:

أن يظنَّ: أنَّ هذا الذي عليه كثيرٌ من النَّاس اليوم من الاعتقاد في الأحياء والأموات حقّ، ويستدل على ذلك بكونِ أكثر الناس عليه؛ فهذا يكون بذلك كافراً مكذّباً للنبيّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، حتى ولو لم يتكلّم بلسانِه، وحتى ولو لم يعمل بالتوحيد إلاَّ بجوارحِه .

ويكفر، كذلك إذا شكَّ في قلبِه، فصار لا يدري مَن معه الحق؛ فهذا حتى ولو لم يكذّب؛ فهو لم يصدّق النبيَّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]؛ فهو مرتدٌّ بذلك، حتى ولو لم يتكلّم بالتوحيد إلاّ بلسانِه .

مثال ترك قول اللسان الذي يكفّر صاحبه :

أن يؤمنَ بالحقِّ ويحبّه، ويكفرَ بالباطل ويبغضه، ولكنَّه تكلَّم بالكفر، مداراةً لأهل الشرك بوجوهِهم، خوفاً من شرّهم، أو: أن يصرّحَ لهم بمدحِ ما هم عليه، أو يذكرَ لهم: أنه ترك ما هو عليه من التوحيد، ويظنُّ: أنَّه ماكر بهم، وأنَّ هذا لا يضرّه، وهذا، أيضاً، لغرورِه .

وهذا الكفرُ والشرك من هؤلاء: إنما هو معنى قول اللَّهِ تعالى: ((مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) [النحل: ١٠٦-١٠٧] .

فالسبب في كفرِهم: ((أَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ))، لا لتغيّر عقائدِهم، وهذا معنى قولِنا في الرّدَّة: أنها تكون: (نطقاً، أو اعتقاداً، أو شكّاً، أو فعلاً)؛ فمن عرف هذا، عرف: أن الخطرَ عظيمٌ شديد، وعرف شدةَ الحاجةِ للتعلّم والمذاكرة[١٥٨] .

وكـــان الشيخُ الإمام – رحمه اللَّهُ – قد قـرّر: أنه لا خِلافَ: أَنَّ التَّوْحِيدَ لابُدَّ:

(١٥٨) "الدرر السنية" (١٠/٨٧-٨٨)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بتصرف واختصار .

أَنْ يَكُونَ بِـ (الْقَلْبِ، وَاللَّسَانِ، وَالْعَمَلِ)؛ فَإِنْ اخْتَلَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ الرجُلُ مُسْلِماً[١٥٩].

وشرح ذلك العلاّمة ابن عثيمين؛ فقال: لابدّ: أن يكونَ الإنسانُ موحّداً بـ (قلبِه، وقولِه، وعملِه)؛ فإن كان موحّداً بقلبه، ولكنه لم يوحّد بقولِه، أو بعملِه؛ فإنه غير صادقٍ في دعواه، لأن توحيدَ القلب يتبعه توحيدَ القول، والعمل؛ كما قال رسولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((أَلاَ، وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ، وَهِيَ القَلْبُ))[١٦٠].

بل: إنّ هذا يكون من جنس فرعون، الذين كان مستيّقناً بالحقّ عالماً به، لكنه أصرّ، وعاند، وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية، قال تعالى: ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)) الآية [النمل: ١٤][١٦١].

(١٥٩) "كشف الشبهات" (ص٥٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(١٦٠) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤١٠١) .
(١٦١) "شرح كشف الشبهات" (ص١٠٠)، للعلاّمة ابن عثيمين، بتصرف واختصار.

العمل بالتوحيد

هل العمل بالتوحيد،معناه: قيام الجوارح بالواجبات،والمستحبات؟.

يظنّ البعض: أن العمل بالتوحيد، معناه: قيامُ الجوارح بالواجبات، والمستحبات!!، والصحيح: أن معناه بالنسبة للجوارح: هو كفّها ومنعُها من توجيه العبادة لغير اللَّهِ، وقيامها بالطاعات على وجه الإخلاص والاستسلام للَّهِ وحده لا شريك له .

فعلماؤنا وأئمتنا عندما نصّوا على: أن التوحيد: اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح؛ فكلامهم ليس عن الإيمان الكامل، وإنما عن أصل الإيمان؛ كما قال العلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: وليس في كلامِ شيخنا مُحَمَّد بن عبد الوهاب التكفير بالذنوب، بل كلامُه في التوحيد، الذي هو شهادة: أن لا إله إلاَّ اللَّه، وهذا لا ينازع مسلمٌ في: أنه لا بد: أن يكونَ بالقلب، واللسان، والعمل بالجوارح .

وقد دلّ على ذلك حديثُ رَسُولِ اللَّه [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((الإِسْلاَمُ: أَنْ تَشْهَدَ: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهُ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً))[١٦٢]؛

(١٦٢) رواه مسلم (١) .

فبدأ رَسُولُ اللَّه [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] في تعريف الإسلام بـ (الشهادتين)، ولا شكّ: أن (العلمَ، والقولَ، والعملَ) مشترطٌ في صحةِ الإتيان بهما[١٦٣].

عدم العمل بالتوحيد من نواقض الإسلام:

وخطورةُ عدم العمل بالتوحيد، تظهر عند التأمّل في نواقض الإسلام العشرة .

فالناقض العاشر منها، هو: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، والدليلُ قولُه تعالى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)) [السجدة: ٢٢]))[١٦٤] .

فترْكُ العمل بالتوحيد، من نواقض الإسلام .

(الولاء والبراء) من العمل بالتوحيد:

وقال العلاّمة عبد اللطيف آل الشيخ: (الموالاة، والمعاداة)، من أوجب الواجبات، وفي الحديث: أنّ أَوْثَق عُرَى الإِيْمَانِ: ((الْمُوَالاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ))[١٦٥].

---

(١٦٣) "مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام" (٥٩٠/٣)، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار.
(١٦٤) "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٦)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(١٦٥) رواه الطبرانِي فِي "المعجم الكبير" (١١٥٣٧)، وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة" .

وأصل الموالاة: (الحبّ)، وأصل المعاداة: (البغض)، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح، ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كـ (النصرة، والأُنس، والمعاونة، والجهاد، والهجرة)، ونحو ذلك من الأعمال[١٦٦].

وهذا، هو معنى العمل بالتوحيد - أصلاً وكمالاً - .

الكبائر القلبية تنقض، أو تنقص (العمل بالتوحيد):

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: إنّ أكثرَ الكبائر القلبية، مثل: (الرياء، والكِبر، والحسد، وترك التوكل، وترك الإخلاص)، وغير ذلك، قد يتلطَّخ بها الرجلُ، وهو لا يشعر، ولعله يتورّع عن بعض الصغائر الظاهرة، وهو في غفلة عن هذه العظائم!![١٦٧] .

(١٦٦) "عيون الرسائل والأجوبة على المسائل" (٢/٥٧٦-٥٧٧)، للعلاّمة عبد اللطيف آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار.
(١٦٧) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٩٥)، للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

شهادة: (لا إله إلا اللّه): اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح

شهادةُ: (لا إله إلاّ اللَّه)، لا ينازع مسلمٌ في: أنها لا بدَّ: أن تكون بالقلب واللسان والجوارح، وهذا مجمعٌ عليه بين أهل العلم، فإذا اختلّ أحد هذه الثلاثة، اختلَّ الإسلام وبطل[١٦٨].

وقال العلاّمة ابن عثيمين: (لا إله إلاّ اللَّه)، يعني: (لا معبود حقّ إلا اللَّه)، يجب: أن يشهدَ الإنسانُ بذلك بقلبِه، ولسانِه، وجوارحِه[١٦٩].

قال تعالى: ((فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الحِجْر: ٩٢-٩٣].

((فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)): عَنْ أَنَسٍ - ﷺ - قال: أي: نسألُهم عَنْ شَهَادَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ[١٧٠].

((عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)): قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: دلّ هذا على: أنّ (لا إلهَ إلاَّ الله) عمل[١٧١].

---

(١٦٨) "مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام" (١٨٨/١)، للعلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار.
(١٦٩) "فتاوى نور على الدرب" (١/٥)، للعلاّمة ابن عثيمين .
(١٧٠) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (١٣٩/١٤)، للإمام الطبري .
(١٧١) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص١٩٦)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

فتحقيقَ شهادة: (لا إله إلاَّ الله)، يكون بتحقيق ثلاثة أمور:

١. (اعتقاد القلب)، وهو: معرفةُ القلب، وتصديقُه، وإقرارُه بالنفي والإثبات، وبأنّــه لا معبودَ حقٌّ إلاّ الله، وأن يعملَ الأعمال القلبية؛ كـ (المحبة، والإنابة، والرضا، والتوكّل، والخشية، والرغبة، والرهبة) .

فإن لم يحصل منه هذا بالكلية؛ فهو منافق .

٢. (قول اللسان)، وهو: التكلّم بالشهادتين، وإقرارُ اللسان بالتوحيد، وكفُّ اللسان عن ألفاظ الكفر والشرك .

فإن لم يحصل منه هذا بالكلية؛ فهو كافر .

٣. (عمل الجوارح)، وهو منْعُها من توجيه عبادةٍ لغير الله، وكفّها عن أفعال الكفر والشرك، وقيامها بالطاعات على وجه الإخلاص والاستسلام لله وحده .

فإن لم يحصل منه هذا؛ فهو مشرك .

فلا يكون مسلماً، إلاَّ، إذا ترك عبادةَ الطاغوت، وتباعد عنه،وعمِلت جوارحَه على وجهِ الإخلاص والتسليم، واجتنبتِ العملَ بالشرك[١٧٢].

(١٧٢) يُنظَر "مصباح الظلام" (٥٩٠/٣)، للعلاّمة عبد اللطيف آل الشيخ، بتصرف وإختصار .

شروط: لا إله إلاّ الله، ودلالتها على العمل بالتوحيد:

وعَنْ عُبَادَةَ بن الصامت – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: قال رَسُولُ اللَّه [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((مَنْ شَهِدَ: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ، مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيُّهَا شَاءَ))[(١٧٣)].

قال العلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: ((مَنْ شَهِدَ: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))، أي: من تكلّم بها عارفا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، باطناً وظاهراً، فلا بدّ في الشهادتين من: (العلم، واليقين، والعمل بمدلولها.

أما النطق بها من غير معرفةٍ لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه: من البراءةِ من الشرك، وإخلاصِ القولِ والعمل؛ فغير نافع بالإجماع[(١٧٤)] .

وكذلك تتبيّن خطورةُ تضييع العمل بالتوحيد عند التأمّل في شروط: (لا إله إلاَّ اللَّه) الثمانية؛ فتجد: أن شروطَها: (الْيَقينُ، والإخلاص، والصِّدْقُ، والْمَحَبَّةُ، والانْقِيَادُ، والقُبُولُ، والكفرُ بالطاغوت)، كلّها عمل بالتوحيد؛ فترك العمل بالتوحيد نقضٌ لشروط: (لا إله إلاّ اللَّه) .

(١٧٣) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٤٩) .
(١٧٤) "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (ص٣٥)، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

الحنيفية: اعتقاداً.. ونطقاً.. وعملاً

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: اعْلَمْ – أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ –: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا .

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)) [الذاريات:٥٦] .

وَمَعْنَى ((لِيَعْبُدُونِ)): يُوَحِّدُونِ .

شروط الحنيفية وحالاتُها:

(شروطُ الحنيفية) ثمانية[١٧٥]، جُمِعت في قولِه تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ)) [يونس:١٠٤-١٠٦] .

والشروط كلّها تدل على: أن الحنيفيةَ: اعتقادٌ بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح .

(١٧٥) يُنظَر "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص١١٣- ١١٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

الشرط الأول: قولِه تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ))، أي: ترْكُ عبادةِ غيرِ الله مطلقاً، ولو حاوله أبوه وأمُّه على الضدِّ من ذلك، بالطمع الجليل، أو الإخافةِ الثقيلة؛ كما جرى لسعد بن أبي وقاص - ﷺ - مع أمِّه .

عن سعدِ بنِ أبِي وقاص - ﷺ - قال: ((نَزَلَتْ فِيَّ: ((وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا)) [العنكبوت: ٨]، قَالَ: لَمَّا أَسْلَمْت، حَلَفَتْ أُمِّي لاَ تَأْكُل طَعَامًا، وَلاَ تَشْرَبُ شَرَابًا، قَالَ: فَنَاشَدْتهَا أَوَّل يَوْم، فَأَبَتْ، وَصَبَرَتْ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْم الثَّانِي، نَاشَدْتهَا؛ فَأَبَتْ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْم الثَّالِث، نَاشَدْتهَا؛ فَأَبَتْ؛ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَوْ كَانَتْ لَكِ مِئَة نَفْس؛ لَخَرَجَتْ قَبْل: أَنْ أَدَعَ دِينِي هَذَا؛ فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، وَعَرَفَتْ: أَنِّي لَسْتُ فَاعِلاً، أَكَلَتْ))[(١٧٦)] .

الشرط الثاني: ((وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ))، أي: أن كثيراً من الناس، إذا عرف الشركَ، وأبغضه، وتركَه، لا يفطن لما يريد اللهُ من حقٍّ في قلبِه من إجلالِه سبحانه، ومحبتِه، وتعظيمِه، وهيبتِه؛ فذكَّر بهذه الحال: ((وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ)) .

الشرط الثالث: ((وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))، فإن قدّرنا: أنه ظنَّ وجودَ الترْكِ منه للشرك، والفعلَ منه للتوحيد؛ فلا بدّ من تصريحِه: بأنه من هذه

---

(١٧٦) رواه الطبري فِي "تفسيره"، وأصل القصة فِي "صحيح مسلم" (٦٣١٧) .

الطائفة – طائفة التوحيد والسنّة – ولو لم يحقّق هذا، إلاَّ بالهرب والهجرةِ عن بلدِ الطواغيت، الذين يبلغون الغايةَ في العداوة للتوحيد، حتى يصرّحَ: أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

ما ضابط التصريح؟ .

الكفرُ له أنواعٌ وأقسامٌ، تتعدَّدُ بِتَعدُّد المكفّرات، وكلُّ طائفةٍ من طوائف الكفر لا بدّ: أن يشتهرَ عندها نَوعٌ منه، ولا يكون المسلمُ مُظهِراً لدينِه، حتى يخالفَ كلَّ طائفةٍ بما اشتُهر عندها، ويُصرِّح لها بعداوتِه، والبراءةِ منه، فمن كان كفرُهم بالشركِ مثلاً، فإظهارُ الدين عندهم يكون بالتصريح بالتوحيد، والنهي عن الشركِ، ومن كان كفرُهم مثلاً بجحد الرسالة، فإظهارُ الدين عندهم يكون بالتصريح: بأن مُحَمَّداً [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] رسولُ الله، والدعوةِ إلى اتباعِه، ومن كان كفرهم مثلاً بموالاة المشركين، والدخولِ في طاعتهم، فإظهار الدين عندهم بالتصريحُ بعداوتِهم، والبراءةِ منهم ومن المشركين، ولهذا كان مشركوا قريش يقولون عن النبيّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا[(١٧٧)] .

عن التابعي الثقة يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ، قال: ((قُلْتُ [لعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضي الله عنهما –]: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟، قَالَ: قَدْ حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ

(١٧٧) يُنظَر "سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك"(٩٢-٩٣)، للعلاّمة حمد بن عتيق .

فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ...، فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]...، فَمَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا: أَنْ مَرَّ بِهِمْ، غَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ، قَالَ: وَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، فَمَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا - وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ، قَالَ: فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ... حَتَّى: إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَطْأَةً قَبْلَ ذَلِكَ يَتَوَقَّاهُ بِأَحْسَنِ مَا يُجِيبُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى: إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا...))[(١٧٨)].

متى يكون ترك الهجرةِ كفراً؟ .

يكون تركُ الهجرةِ كفراً: إذا كان يوقع تاركها في الكفر والشرك، ولموافقة المشركين على شركِهم، ظاهراً أو باطناً، قال تعالى: ((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))

[النحل: ١١٠][(١٧٩)].

---

(١٧٨) رواه أحمد (٧٠٣٦)، وابن حبان (٦٥٦٧)، وحسّنه الألباني في "التعليقات الحسان" .

(١٧٩) تُنظَر "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٠/١٤٠-١٤١)، للعلاّمتين حسين وعبد الله، ابنَي الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

قال الإمام ابن كثير[١٨٠]: كَان بعض الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، مُهَانِينَ فِي قَوْمِهِمْ، قَدْ وَافقوهم عَلَى الشركِ والْفِتْنَةِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَمْكَنَهُمُ الْخَلَاصُ بِالْهِجْرَةِ، فَتَرَكُوا بِلَادَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَانْتَظَمُوا فِي سِلْكِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَاهَدُوا مَعَهُمُ الْكَافِرِينَ، وَصَبَرُوا، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ مِنْ بَعْدِ فعلتهم - وَهِيَ الْإِجَابَةُ إِلَى الْفِتْنَةِ والشرك - لَغَفُورٌ لَهُمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ[١٨١].

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: ذَكَرَ سبحانه في الآية [النحل: ١١٠] صفةَ توبتِهم، وهي: (الهجرة، والجهاد، والصبر)[١٨٢].

الشرط الرابع: ((وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ)): فإن قدّرنا: أنه ظنَّ وجودَ الثلاثة السابقة، فقد لا يبلغ مرتبةَ الجدِّ في العمل بالدين؛ والجدُّ والصدقُ، هو إقامةُ الوجهِ للدّين .

الشرط الْخامس: ((حَنِيفًا)): فإن قدّرنا: أنه ظنَّ وجودَ الأربعة السابقة، فلا بدّ له من جماعةٍ ينتسب إليها، فأُمِر: أن تكونَ جماعتُه، هي (الحنيفية)، وأن يتركَ كلَّ جماعةٍ سواها، ففي الحنيفية غنيةٌ عنها وكفاية .

عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ - ﷺ - قال: قَالَ النَّبِيُّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبه وَسَلَّمَ]: ((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا [أي: هم من أهل

---

(١٨٠) "تفسير القرآن العظيم" (٦٠٧/٤)، للإمام ابن كثير، بشيء من التصرف والاختصار

(١٨١) القصة رواها الطبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (٣٧٩/١٤)، وصحّحها الشيخ مقبل الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" .

(١٨٢) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٢٣٠)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

لسانِنا ومن ملتِنا]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟، قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ؛ فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟، قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ: أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ [أي: حتى ولو كان خلاصُك من هذه الفرق بالعضّ على جذعِ شجرة]، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))[١٨٣].

وعن أمِّ سلمة - ﷺ - قالت: ((إِنَّ نَبِيَّكُمْ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبه وَسَلَّمَ] قد بَرِيء مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ))[١٨٤].

الشرط السادس: ((وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)): فإن قدّرنا: أنّه ظنَّ وجودَ الخمسة السابقة، فلا بدَّ: أن يتبرأَ من المشركين - بقلبِه ولسانِه وجوارحِه -، فلا يكثِّر سوادَهم .

الشرط السابع: ((وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ)): فإن قدَّرنا: أنّه ظنَّ وجودَ الستة السابقة، فقد يدعو - من غيرِ قلبِه - نبيّاً أو غيره؛ لشيءٍ من مقاصدِه وأغراضِه، كأن يكونَ دَيْناً!!، ويظنّ: أنه، إنْ نطَقَ بذلك من غيرِ قلبِه؛ لأجل كذا وكذا من الدنيا - خصوصاً عند الخوف -: أنه لا يدخل في دعاء غير الله .

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ - رضي اللهُ عنه - قَالَ: ((كَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ؛ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ؛ فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيَكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ؛ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ، ثُمَّ تُبْعَثَ، [يعني: لن أكفرَ به حتى ولو متَّ وبُعِثتَ]، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ!!؛ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ:

---

(١٨٣) رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) .
(١٨٤) رواه أحمد في "العلل ومعرفة الرجال" (٣٥٩٧) .

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ((أَفَرَأَيتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا . أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً . كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً . وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا)) [مريم:٧٧-٨٠]))[١٨٥] .

الشرط الثامن: ((فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ))، فإنْ قدَّرنا: أنّه ظنَّ سلامتَه من ذلك، لكنَّ غيرَه مِن إخوانِه فعلَ دعاءَ غير الله: إما خوفاً، أو لغرضٍ من الأغراض، فهل يصدِّق اللهَ: أن هذا الداعي لغيرِ الله، ولو كان أصلحَ الناس، قد صار من الظالمين؟!!؛ أم سيقول: كيف أكفّره وهو يحبُّ الدينَ ويبغض الشرك؟! .

عنْ أبي سعيدٍ الخُدْريّ - ﷺ - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِتتبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ...،حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا [بمعنى: أنه سبحانه يتجلّى لهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها سابقاً، ابتلاء لهم]، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟، تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ؛ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا -...، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟؛ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ .

فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِه؛ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً، إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً

(١٨٥) رواه البخاري (٤٧٣٢)، ومسلم (٢٧٩٥) .

وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ: أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ...،ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ))[١٨٦].

فما أعزَّ وأقلَّ من يتخلّص من هذا!!، بل ما أعزَّ وأقلَّ من يفهمه، وإن لم يعمل بــه، بل ما أعزَّ واقلَّ من لا يظنّه جنوناً!!، والله أعلم .

(١٨٦) رواه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (٣٠٢) .

أقسامُ الناس في (العمل بالتوحيد)

الناسُ في العمل بالتوحيد على ثلاثةِ أقسام: (موحّد، وكافر مشرك، ومنافق) .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: إِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ، كَفِرْعَوْنَ، وَإِبْلِيسَ، وَأَمْثَالِهِمَا، وَهَذَه المسألة يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: هَذَا التوحيد حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُه، وَنَشْهَدُ: أَنهُ الْحَقّ، وَلَكِنْ لَا نَقْدِرُ: أَنْ نَفْعَلَهُ، ولا: أن نعملَ به، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا، إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ على الشرك، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ، وَلَمْ يَعْرِفُ الْمِسْكِينُ: أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ كانوا يَعْرِفُونَ الْحَقّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ هذه الأَعْذَار، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [التوبة: ٩] .

أو كقولِه سبحانه: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) [البقرة: ١٤٦] .

وإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلاً ظَاهِراً، وَهُوَ لاَ يَفْهَمُه، وَلاَ يَعْتَقِدُه بِقَلْبِهِ، فَهُوَ مَنَافِقٌ، وَالمُنافِقِ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي

الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً)) [النساء: ١٤٥] .

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ طَوِيلَةٌ خطيرة، تتبيّنُ لَكَ،إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ: فَتَرَى مَنْ يَعْرِفُ التوحيد وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ به؛ لِخَوْفِ نَقْصٍ دنياه، أَوْ جَاهِهِ، أو رئاسته، أَوْ مُلْكِهِ!، وَتَرَى، كذلك مَنْ يَعْمَل بِهِ ظَاهِرًا لاَ بَاطِناً، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ، إِذَا هُوَ لا يعرفه![١٨٧] .

وقال الإمام مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ[١٨٨]:

١. لو وحَّد الإنسانُ بلسانِه دون قلبِه، ما نفعه توحيدُه .

٢. ولو وحّد بقلبِه وجوارِحه دون لسانِه، ما نفعه ذلك .

٣. ولو وحّد بجوارِحه دون لسانِه وقلبِه، لم يكن مسلماً .

فالموحّد، هو من وحّد بقلبِه ولسانِه وجوارِحه[١٨٩] .

---

(١٨٧) "كشف الشبهات" (ص٥٤-٥٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(١٨٨) هو الإمام العلاّمة الأصولي المحدّث الفقيه الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب مفتى الديار السعودية، ورئيس قضاتِها (١٣١١هـ - ١٣٨٩)، وُلد في الرياض، وطرأ عليه العمى وهو في الرابعة عشرة من عمره، وختم القرآن وحفظه، ثم شرع في قراءة العلم، وقرأ على والده، وعمّه عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، ولم يزل مجداً في طلب العلم، حتى صار رأساً في نشر العلم وتعليمه، وقد تخرّج على يديه أفواج من العلماء؛ كالشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن باز، وألف المؤلفات الكثيرة، وله فتاوى جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وتبوأ الكثير من الوظائف والأعمال التي قام بمسؤوليتها خير قيام، إلى أن توفاه الله في الرياض، ودُفِن بها .
المصدر: "مشاهير علماء نجد"، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ومصادر أخرى .

(١٨٩) "شرح كشف الشبهات" (ص١٢٦)، للإمام محمد بن ابراهيم آل الشيخ، بتصرف واختصار.

من هم أهل البدع الذين قالوا: إنّ التوحيد اعتقاد قلبي، فقط؟

أهل البدع الذين قالوا: بأنّ التوحيد: هو اعتقادٌ قلبي، فقط، هم جهمية المرجئة، قال العلاّمة سليمان بن سحمان: مذهب الجهمية: أنّ الإيمانَ، هو التصديق، فقط![١٩٠]، رغم أنَّ أبا طالب عمّ النبيّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] كان جازماً بصدقِه، ولم ينفعه ذلك، واليهود الذين كان يعرفونه [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، كما يعرفون أبناءهم، كانوا جازمين بصدقه، ولم ينفعهم ذلك، والذين يقولون: (الإيمان: هو التصديق الجازم)، هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة[١٩١] .

والدليل على: أن التصديقَ وحده غير كافٍ في الإيمان: قوله تعالى: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) [البقرة: ١٤٦] .

قال الإمام ابن كثير:يُخْبِرُ تَعَالَى:أَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْرِفُونَ صِحّة مَا جَاءَهُمْ

(١٩٠) "تنبيه ذوي الألباب السليمة" (ص٧٣)، للعلاّمة سليمان بن سحمان .
(١٩١) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٠٦/١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار.

بِهِ الرَّسُولُ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، كَمَا يَعْرِفُ أحدُهم وَلَدَهُ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَكَاتَمُونَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ حَسَدًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا[١٩٢].

فرق المرجئة، والتحذير منهم:

قال الإمام ابن حزم: غلاة المرجئية طَائِفَتَانِ :

إحداهما: الطَّائِفَة القائلة: بأن الْإِيمَان قَول بِاللِّسَانِ، وَإِن اعْتَقدَ الْكُفْرِ بِقَلْبِه؛ فَهُوَ مُؤمِن عِنْدَ اللَّهِ عزّ وجلّ، ومن أهل الجنَّة!، وَهَذَا قَول مُحَمَّد بن كرّام .

الثانية: الطَّائِفَة القائلة: أن الإيمانَ عقدٌ بِالْقَلْبِ، وَإِن أَعلَن الْكَفْرَ بِلِسَانِهِ بلا تَقيّة، أو عبَدَ الْأَوْثَان، وَمَات على ذَلِك؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلَ الْإِيمَان عِنْدِ اللَّهِ عزّ وجل، ومن أهل الجنَّة، وَهَذَا قَول جهم بن صَفْوَان[١٩٣].

عَنْ أَنَسٍ – رضي اللَّهُ عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: **((صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي، لَا يَرِدَانِ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَلَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ))**[١٩٤].

---

(١٩٢) "تفسير القرآن العظيم" (١/١٦١-١٦٣)، للإمام ابن كثير .
(١٩٣)"الفِصَل في الملل والأهواء والنحل" (٤/١٥٤-١٥٥)، للإمام ابن حزم .
(١٩٤) رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٤٢٠٤)، وحسّنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" .

وعَنِ الإمام التابعي الثقة ابن شهاب الزُّهْرِيّ: مَا ابْتُدِعَتَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ أَضَرُّ عَلَى الْمِلَّةِ مِنْ هَذِهِ، يَعْنِي: أَهْلَ الْإِرْجَاءِ[١٩٥].

وعَنِ الإمام التابعي الثقة إِبْرَاهِيمُ النخعي: الْمُرْجِئَةُ أَخْوَفُ عِنْدِي عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْأَزَارِقَةِ[١٩٦]، يعني: الخوارج .

وعن التابعي الجليل شَرِيك القاضي: وَذَكَرَ الْمُرْجِئَةَ، قَالَ: هُمْ أَخْبَثُ قَوْمٍ، وَحَسْبُكَ بِالرَّافِضَةِ خُبْثًا، وَلَكِنِ الْمُرْجِئَةَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١٩٧] .

(١٩٥) "الشريعة" (٦٧٦/٢)، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّيُّ .
(١٩٦) المصدر السابق (٦٧٨/٢) .
(١٩٧) المصدر السابق (٦٨٣/٢) .

الكفرُ، يكون بالقلب، أو باللسان، أو بالعمل

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: الردَّة قد تكون كلاماً، أو فعلاً من غير اعتقاد[١٩٨]؛ فالناقض للإسلام – إذا تحقّقتموه – قد يكون بكلمةٍ، ولو لم تعتقدْها، وقد يكون بفعلٍ، ولو لم تتكلّم به، وقد يكون في القلب، ولو لم تتكلّم به، وتعمل[١٩٩].

مخالفة المرجئة في ذلك:

وأما مذهبَ المرجئة، فهو لا كفرَ إلاَّ كفرَ الجحودِ والتكذيب، والإيمان عندهم، هو التصديقُ بالقلب، والكفر عندهم، هو التكذيب، فقط، وهذا منهم غلوٌ في التفريط، ويقابله مذهبُ الخوارج، الذي هو غلوٌ في الإفراط في التكفير .

وقد هدى اللَّهُ أهلَ السنة والجماعة إلى القولِ الحقّ: من: أنّ الكفرَ يكون بـ (القولِ، والفعلِ، والتركِ، والاعتقادِ، والشكّ)، كما قامت على ذلك دلائلُ الكتاب والسنة[٢٠٠].

وأكّـد ذلك العلاّمـة بكر أبـو زيد[٢٠١]، فقال: الكفرُ يكونُ بـ (الاعتقاد،

(١٩٨) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٢٢٩)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بتصرف واختصار .
(١٩٩) "الدرر السنية" (١١٧/١٠)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بتصرف واختصار.
(٢٠٠) "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الثانية) (١٣٤/٢)، برئاسة الإمام ابن باز .
(٢٠١) هو العلاّمة بكر بن عبد الله بن محمد بن أبو زيد (١٣٦٥هـ - ١٤٢٩هـ)، أحد كبار العلماء=

وبالقول، وبالفعل، وبالشكّ، وبالترك)، وليس محصوراً بالتكذيب بالقلب؛ كما تقوله المرجئة[٢٠٢] .

واستدل على إبطال ذلك بقولِه تعالى: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))

[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

فالسجود لغير اللَّهِ، والذبح لغير اللَّهِ، وكذلك السّحر، كلّ هذا شركٌ وكفرٌ باللَّهِ، وكلّ هؤلاء قد كفَّرهم اللَّهُ ورسولُه بعد إيمانِهم، بأقوالٍ وأعمالٍ صدرت منهم، ولو لم يعتقدوها بقلوبِهم، لا كما تقول المرجئة المنحرفون[٢٠٣] .

لا يجوز حصر الكفر بالجحود، والتكذيب، فقط:

قال الإمام ابن تيمية: الْكُفْرُ أَعَمُّ مِنْ التَّكْذِيبِ؛ فَكُلُّ مَنْ كَذَّبَ الرَّسُولَ كَافِرٌ،

= في المملكة العربية السعودية، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي، وعضو مجلس القضاء، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، يرجع نسبه إلى قبيلة بني زيد، ولد في مدينة الدوادمي، ونشأ في بيت صلاح ونسب، درس في كلية الشريعة، في الرياض، ثم المعهد العالي للقضاء، ولازم الشيخ عبد العزيز بن باز، وقرأ عليه، ولازم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وحصل على الإجازات العلمية، وله الكثير من المؤلفات والتحقيقات والردود، وتولّى الكثير من الوظائف والأعمال والنشاطات، حتى توفي في الرياض .
المصدر: "ترجمة فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد"، الرئاسة العامة للإفتاء.

(٢٠٢) "درء الفتنة عن اهل السنة" (ص٤٩)، للعلاّمة بكر بن عبد الله أبوزيد .

(٢٠٣) المصدر السابق (ص٧٥-٧٧)، بشيء من التصرف والاختصار.

وَلَيْسَ كُلُّ كَافِرٍ مُكَذِّبًا، بَلْ مَنْ يَعْلَمُ صِدْقَهُ، وَيُقِرُّ بِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُبْغِضُهُ، أَوْ يُعَادِيهِ؛ فهو كَافِرٌ، ومَنْ أَعْرَضَ؛ فَلَمْ يَعْتَقِدْ لَا صِدْقَهُ وَلَا كَذِبَهُ؛ فهو كَافِرٌ، رغم: أنه لَيْسَ بِمُكَذِّبٍ[٢٠٤].

قال الإمام ابن باز: قد يخرج الإنسانُ من الإسلام بغير الجحود، ومن ذلك: طعنُه في الإسلام، أو في النبيّ [صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]، أو استهزاؤه بالله، أو بكتابه، أو بشيء من شرعِه سبحانه، ومن ذلك: عبادته الأوثان، أو دعوته الأموات، والاستغاثة بهم، ونحو ذلك؛ وهذه المسائل كلّها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود[٢٠٥].

(الكفرَ العملي)، منه ما هو: (كفر أكبر مخرج من الملّة):

قال الإمام ابن باز: الذبحُ لغير اللَّهِ، والسجود لغير اللَّهِ، كفرٌ عملي مخرجٌ من الملّة، وكذلك لو صلَّى لغير اللَّهِ، أو سجَدَ لغيرِه سبحانه، فإنَّه يكفر كفراً عملياً أكبر – والعياذ باللَّهِ –، وهكذا إذا سبَّ الدين، أو سبَّ الرَّسول، أو استهزأ باللَّهِ ورسوله، فإنَّ ذلك كفرٌ عملي أكبر عند جميع أهل السنة والجماعة[٢٠٦].

وقال العلاّمة حافظ الحَكَمي[٢٠٧]: إن الكفرَ العملي، المخرج من الدين، فهو،

---

(٢٠٤) "الفتاوى الكبرى" (٥١٨/٦-٥١٩)، للإمام ابن تيمية، بشيء من التصرف والاختصار.
(٢٠٥) "التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية" (ص٣٤)، جمع: أحمد بن يحيى الزهراني .
(٢٠٦) "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (١٤٦/٢٨)، للإمام ابن باز .
(٢٠٧) هو العلاّمة حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢- ١٣٧٧هـ) ، أحد علماء أهل السنة والجماعة، وأحد أعلام شبه الجزيرة العربية، ينتسب إلى قبيلة حكم المعروفة، وإتسم منذ طفولته بالذكاء=

وإن كان واقعاً بعمل الجوارح؛ فيما يظهر للناس، ولكنه لا يقع إلاَّ مع ذهاب عمل القلب بالكلية، من نيتِه، وإخلاصِه، ومحبتِه، وانقيادِه، فهو، وإن كان عملياً في الظاهر، إلاَّ: أنه مستلزم للكفر الاعتقادي ولا بدّ[٢٠٨] .

= وسعة الحفظ، وحرص على حفظ القرآن وبعض المتون العلمية في سنّ صغيرة، وفي ١٣٦٠هـ درس عند الشيخ عبد الله القرعاوي، وتفرغ لدراسة العلوم الشرعية، وكلّفه الشيخ القرعاوي بالتدريس لزملائه وللطلبة المستجدين، وعندما افتتح معهداً علمياً بمدينة صامطة، أسندت إدارته للشيخ حافظ، بالإضافة لتوليه التدريس بالمعهد، ومن مصنفاته: "معارج القبول في شرح سلم الوصول" في العقيدة والتوحيد، و"أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة"، و"دليل أرباب الفلاح لتحقيق فنّ الاصطلاح"، و"وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول".
المصدر:"الشيخ حافظ الحكمي؛ حياته وجهوده العلمية والعملية"، للشيخ زيد المدخلي .

(٢٠٨) "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة" (ص١٠٠)، للعلاّمة حافظ الحكمي .

الخلاصة

١. لا يكفي في التوحيد الاعتقادُ القلبي، فقط، بل لا بدّ: أن يكونَ التوحيدُ بالقلب واللسان والعمل .

٢. شروط: (لا إله إلاّ الله)، وشروط (الحنيفية) كلّها جاءت تنصّ على: أن التوحيد: اعتقادٌ بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، ولذلك كان ترك العمل بالتوحيد من نواقض الإسلام .

٣. ومعنى: (عمل الجوارح) بالتوحيد: هو منْعُها من توجيهِ عبادةٍ لغير الله، وكفّها عن أفعال الكفر والشرك، وقيامها بالطاعات على وجه الإخلاصِ والاستسلامِ لله وحده، فإن لم يحصل منه هذا؛ فهو مشرك؛ فلا يكون مسلماً، إلاَّ، إذا ترك عبادةَ الطاغوت، وتباعد عنه، وعمِلت جوارحَه على وجهِ الإخلاص والتسليم .

٤. (العمل بالتوحيد)، ليس معناه: قيام الجوارح بالواجبات والمستحبات، فقط .

٥. و(الولاء والبراء) من (العمل بالتوحيد) .

٦. الكبائر القلبية تنقض أو تنقص (العمل بالتوحيد)

٧. الناسُ في العمل بالتوحيد على ثلاثةِ أقسام: (موحّد، وكافر مشرك، ومنافق) .

٨. وأهل البدع الذين قالوا: بأنّ التوحيد، هو اعتقادٌ قلبي، فقط، هم جهمية المرجئة .

٩. الكفرُ عند أهل السنّة والجماعة كذلك يكون بالقلب، أو اللسان، أو العمل .

١٠. موافقة المشركين على شركهم كفر أكبر، ولو كانت في الظاهر، دون الباطن .

الرسالةُ الرابـعة

وجوب الدعوة إلى التوحيد

تمهيد

إذا كان التوحيدُ، هو أولُ ما يجب على المسلم؛ فإنّ اللازمَ من ذلك: أن تكونَ الدعوةُ إليه أولاً؛ وبذلك تكون الدعوةُ دعوةً ربّانيةً مقتفيةً ومتبعةً لدعوات الأنبياء والمرسلين، وورثتهم من العلماء المصلحين، ((فأولُ ما يجب على المسلم معرفةُ العقيدة الصحيحة، والتمسك بها، قال الله تعالى: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)) [محمد:١٩] .

ولذلك كان الرسل – عليهم الصلاة والسلام – أول ما يبدؤون في دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال الله تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) [النحل:٣٦]))[٢٠٩] .

قال العلاّمة الألباني: نرى أغلبَ الدعاة اليوم لا يقيمون لمسائل الاعتقاد وزناً، ولا يلقون لها بالاً، فلا تسمع لها في محاضراتِهم ولا مجالسهم الخاصة والعامة ذكراً!!، ولذلك، فإني أعتب أشد العتب عليهم، وأنصحهم بتثقيف الشباب في

(٢٠٩) تُنظَر "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الثانية) (٢/٢٦-٢٧) .

دينِه – أصولاً وفروعاً – على ضوء الكتاب والسنة، ونهج سلف الأمة، ولذلك كانت دعوة الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – وأتباعِهم أول ما يبدؤون بالدعوة إلى توحيد الله عزّ وجلّ، فلم يكونوا يعالجون باديء الأمر المشاكلَ الأخلاقية، ولا الاقتصادية، وغير ذلك، مما افتُتن بمعاجلتِه الدعاة اليوم، مع الغفلة منهم عن المشكلة الأساسية، ألاَ، وهي انحراف المسلمين عن العقيدة الصحيحة[٢١٠].

فالدعوة إلى التوحيد والعقيدة أولاً، وهي قبل الدعوةِ إلى ترك الكبائر، أو فعل السنن، أو التحلّي بالأخلاق، أو خوض غمار السياسة أو القتال، قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي[٢١١]: الدعوة إلى التوحيد قبل كلِّ شيء، الذي يستسلم للتوحيد مستعدٌ: أن يتنازل عن كل شيء يخالف الشرع[٢١٢] .

(٢١٠) "مختصر العلو للعلي العظيم" (ص٥٥- ٦٦)، للعلاّمة الألباني، بتصرف واختصار .
(٢١١) هو الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (١٣٥٢- ١٤٢٢هـ)، مجدّد الدعوة السلفية في اليمن، وأنشأ مدرسة علمية سلفية بدماج في محافظة صعدة، سماها بدار الحديث، يفد إليها الطلاب من أنحاء اليمن ومن بلدان أخرى، وتخرج على يديه العديد من الشيوخ الذين أنشئوا مدارس في عدد من مناطق اليمن، وله الكثير من المؤلفات في العقيدة والتفسير والحديث .
المصدر: "الإبهاج في ترجمة الشيخ مقبل ودار الحديث بدماج"، لحميد العتمي، ومصادر أخرى .
(٢١٢) "المخرج من الفتنة" (ص٩٥)، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

فضل الدعوة إلى اللّه

من الأدلة على فضل الدعوة إلى الله:

١. قولُه تعالى: ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [آل عمران: ١٠٤] .

قال الإمام ابن كثير[٢١٣]: أي ولتكن منكم أمةٌ منتصبةٌ للقيام بالدعوةِ الى الخير، والأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإن كان ذلك واجباً على كلِّ فرد من الأمة بحَسبه؛ كما ثبت عَنْ أبي سَعِيدٍ الخدري - ﷺ - قال: قال رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[٢١٤] .

٢. وقال تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [يوسف: ١٠٨] .

قال الإمام ابن القيم: لا يكون الرجلُ من أتباعِ رسولِ اللهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى

(٢١٣) "تفسير القرآن العظيم" (٩١/٢)، للإمام ابن كثير .
(٢١٤) رواه مسلم (٨٦) .

آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] حقّاً حتى يدعوَ إلى ما دعا إليه، ويكونَ على بصيرة وعلم، فَهَؤُلَاءِ خلفاءُ الرُّسُل حَقًا، وورثتُهم من دونِ النَّاس(٢١٥) .

٣. عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ – رضي اللهُ عَنْهُ – قال: قال رسول الله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِــه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا))(٢١٦) .

٤. عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَضْرَمِيّ – رضي اللهُ عَنْهُ – قال: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ(٢١٧)[صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطَوْنَ مِثْلَ أُجُورِ أَوَّلِهِمْ؛ فَيُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ))(٢١٨).

٥. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ – رضي اللهُ عَنْهُ – قال: قال رسولُ الله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((إِنَّ اللَّهَ، وَمَلاَئِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ (فِي الْبَحْرِ)؛ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ

(٢١٥) "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" (٧٨/١)، للإمام ابن القيم، بتصرف واختصار .
(٢١٦) رواه البخاري (٢٤٩٣) .
(٢١٧) قال العلاّمة الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٢٧٥/٤): وأما جهالة الصحابي، فلا تضرّ قطعاً؛ لأنهم كلّهم عدول .
(٢١٨) رواه أحمد (١٦٥٩٢)، وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة" .

الخَيْرَ))[٢١٩].

(٢١٩) رواه الترمذي(٢٦٨٥)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٧٩١٢)، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن".

الدعوة إلى التوحيد أولاً

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: أول واجب أتت به الرسل، هو التوحيد .

أما قولهم: (أول واجبٍ على كلّ ذكر وأنثى: هو النظر في الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد)!!، فهذا خطأ، وهو من علم الكلام الذي أجمع السلفُ على ذمّه(٢٢٠) .

ويُفترَض: أنّ هذه المسألة من أبجديات الدين، وأن كون التوحيد الفرض الأول في الاسلام، والمقدّم على الفروض الأخرى، قضيةٌ لا تحتاج إلى كبير بحثٍ لتقريرها، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل من غربة الدين! .

وبالتالي، فالواجب على الداعي إلى الخير: أن يكون هذا الفرض هو أول ما يهتم به، وأول ما يحرص عليه، وأول ما يسعى إلى تحقيقِه، وعلى ذلك ربّى رسولُ الله [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] أصحابَه .

عن ابنِ عبّاس – رضي اللهُ عنهما – قال: ((لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبه وَسَلَّمَ] مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى: أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى؛ فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ،

(٢٢٠) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٠٥/١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

فَأَخْبِرْهُمْ، أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ؛ فَإِذَا صَلَّوْا؛ فَأَخْبِرْهُمْ: أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ؛ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ، فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ))[٢٢١] .

قال الإمام ابن منده[٢٢٢] مترجماً للحديث: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ الْعَبْدُ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ، ثُمَّ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، ثُمَّ الزَّكَاةُ[٢٢٣] .

وقال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: إن من فوائد حديث معاذ – ﷺ – :

١. أن التوحيدَ، هو أول واجب .

٢. أن التوحيد يُبدأ به قبل كلِّ شيء حتى الصلاة .

٣. التنبيه على التعليم بالتدريج .

٤. التنبيه على البداءةِ بالأهم، فالأهم[٢٢٤] .

وقال العلاّمة الألباني: نحن نفرض على أنفسِنا: أن تكون دعوتنا على حديث معاذ، وهذا هو الأصل: تصحيح عقائد الناس، وإصلاح عباداتِهم، وتحسين سلوكهم[٢٢٥] .

ومن تتبع الأدلةَ القرآنية والحديثية، ودعوات الأنبيـاء وأتباعِهم، ثبت عنـده

---

(٢٢١) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (٣١) .

(٢٢٢) هو أبو عبد الله مُحمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، صاحب التصانيف، الإمام، الحافظ، ولد سنة ٣١٠ هـ، وتوفي سنة ٣٩٥ هـ، مَن حفظةِ الحديث ونقلتِه . المصدر: "سير أعلام النبلاء"، للإمام الذهبي، ومصادر أخرى .

(٢٢٣) "كتاب الإيمان" (٣٧٩/١)، للإمام ابن منده، بشيء من التصرف والاختصار.

(٢٢٤) "كتاب التوحيد" (ص٢١-٢٢)، للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب .

(٢٢٥) "جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى" (٢٠٨/٦-٢٠٩) .

بما لا يدع مجالاً للشكّ: أن البدءَ بإصلاح العقيدة والتوحيد، هو سبيل الأنبياء والمرسلين كلّهم، مصداقاً لقولِه تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)) [الأنبياء: ٢٥] .

دعوة الأنبياء، وأتباعهم إلى التوحيد

قال العلاّمة الألباني: في الدعاةِ اليوم من يظنُّ: أن السلفيين يضيّعون أعمارَهم في التوحيد، سبحان الله!!، ما أشدَّ إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل!!، لأنه يتغافل – إن لم يكن غافلاً حقاً – عن: أنّ دعوةَ الأنبياء والرسل كانت: ((أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) [النحل: ١٣٦]، بل: إنّ نوحاً – عليه الصلاة والسلام – أقام ألفَ سنة إلاَّ خمسين عاماً، لا يدعو إلاَّ إلى التوحيد، وهو شغل السلفيين الشاغل، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)) [العنكبوت:١٤]؛ فكيف ينحطّ كثيرٌ من الدعاة إلى درجةِ: أن ينكروا ذلك على السلفيين؟![٢٢٦].

وهذا الشغل الشاغل للسلفيين، هو الذي جعل الألباني – رحِمه الله – يدرّس كتاب "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" عندما كان في الشام، وقبل عشرات السنين من وفاته![٢٢٧]، وهو الذي جعله يوصي طالبَ الحقّ، كذلك بقراءةِ كتاب "مجموعة التوحيد"، لأئمة الدعوة[٢٢٨]، وهو الذي جعله قبل وفاته

(٢٢٦) تُنظَر "حياة الألباني" (ص٣٨٠)، لمحمد الشيباني .
(٢٢٧) يُنظَر "شهر في دمشق"، المطبوع عام ١٣٧٤هـ ، للأستاذ الأديب عبد الله بن خميس .
(٢٢٨) "التوسل أنواعه وأحكامه" (ص١٢٤)، للعلاّمة الألباني .

بسنوات قليلة يسجّل وصيتَه الختامية للأمة في رسالة: "التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام" .

وقال الإمام ابن باز: بعث اللهُ نبيَّه [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] يدعو الناسَ إلى توحيد الله، وينذرهم من الشرك الوخيم، فقام بذلك أكملَ قيام، ودعا إلى اللهِ وأرشد إلى دينِه الذي رضيَه للناس، ومكث في مكةَ ثلاث عشرة سنة يدعو الناسَ إلى توحيدِ الله، وإخلاص العبادةِ له، سبحانه، وترك عبادة ما سواه(٢٢٩)، ثم أقام [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] في المدينة عشر سنين يدعو إلى توحيد الله واتباعِ شريعته، وأرسل رسلَه إلى القبائل والبلدان يدعونهم إلى توحيد الله، كما بعث علياً ومعاذاً وأبا موسى الأشعري - ﷺ - إلى اليمن، وإنما بدأ بالدعوة إلى التوحيد، لأنه هو الأساس، فهو أساس الإيمان والدين(٢٣٠) .

وعَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيّ - ﷺ - قَالَ: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ [هو سُوق للعَرَبِ في الجاهِلِيَّةِ، كانَ إلى جانِبِ عَرَفَةَ]، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ [يعني: أسالَ الدَّمَ من مُؤخِّرةِ قَدَميهِ]، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ؛ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟، قِيلَ:

(٢٢٩) "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (٦/٢٩-٣٠)، للإمام ابن باز .
(٢٣٠) يُنظَر المصدر السابق (٥/١٧٠-١٧١)، بشيء من التصرف والاختصار ،

هَذَا غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟، قَالَ: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ...))[٢٣١].

قال العلاّمة صالح بن حُميد[٢٣٢]: بعض الناس يظنّ: أن التوحيدَ كان خاصاً بالعهد المكي، وبعدها، كأن القضية انتهت!!، وهذا غير صحيح، فإن الرسول [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] من أول ما ظهر، إلى: أن توفي، وهو يدعو إلى التوحيد، ولم يفتر لحظة واحدة، وفي كلّ بعوثه التي بعثها، وفي كل الرسل والكتابات التي أرسلها، كلّها تدعو إلى التوحيد، لم تخلُ فترة من فترات النبوة من إعلان التوحيد وشواهده، ومن محاربة الشرك وظواهره، بل يكاد ينحصر غرض البعثة كلها في ذلك، فما ترك [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] تقرير التوحيد، وهو وحيد، ولا ذهل عنه، وهو محصور في الشِعب، ولا انصرف عنه، وهو في مسالك الهجرة، والعدو مشتدٌ في طلبه، ولا قطع الحديث عنه، وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعوانه، ولا أغلق باب الخوض فيه، بعد فتح مكة الفتح المبين، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال، حيث كانت البيعة: ألاَّ يشرك بالله شيئاً، ولم يفتر عن تكرار عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك، فهذه سيرته المدونة وأحاديثه الصحيحة، والقرآن من وراء ذلك كلّه .

---

(٢٣١) رواه ابن حبان (٦٥٦٢)، والحاكم (٤٢٧٨)، وصحّحه الألباني في "التعليقات الحسان" .
(٢٣٢) هو العلاّمة صالح بن عبد الله بن محمد بن حميد، عضو هيئة كبار العلماء، من مواليد بريدة سنة ١٣٦٩ هـ، ومن مؤلفاته: "القدوة، مباديء ونماذج"، و"مفهوم الحكمة في الدعوة، و"الجامع في فقه النوازل" .
المصدر: الموقع الرسمي للشيخ .

من أجل هذا كان التوحيد أولاً، وكان هو الأول، ولا بد: أن يكون أولاً في كلّ عصر، وفي كلّ مصر[٢٣٣].

وقال العلاّمة عبد الرحمن بن قاسم النجدي[٢٣٤]: قد جرى لمجدّد هذه الدعوة الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب - رحِمه الله - هو وأصحابِه نحوَ ما جرى لرسولِ الله [صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِهِ وسلَّم]، حتى كانت لهم العاقبة، وأظهر اللهُ الدينَ على يديه وأتباعِه، فللّه الحمدُ والمنة، وجزاه الله - ومَن آواه ونصره - عن الإسلام والمسلمين أحسنَ الجزاء[٢٣٥].

ومِن قبلِه، قال الإمام البزّار[٢٣٦] عن شيخِه الإمام ابن تيمية: ولقد أكثر - رحمه الله - التصنيفَ في أصول الدين (العقيدة)؛ فَسَأَلْتُه عَن سَبَبٍ ذلك؟، والتمستُ مِنْهُ تأليفاً فِي الْفِقْه، يجمع اختياراتِه وترجيحاتِه، ليكون عُمْدَةً في الافتاء؛ فَقَالَ لي: الْفُرُوع الفقهية، أمرُها سهلٌ قريب، وَإِذَا قَلّد الْمُسلَمُ فِيهَا أَحْدَ الْعَلَمَاء، جَازَ لَهُ الْعَمَل بقولِه ما لم يتَيَقَّن خطأه .

---

(٢٣٣) "دروس الشيخ صالح بن حميد" (١٧/١)، بشيء من التصرف والاختصار .

(٢٣٤) هو الشيخ العلامة المحقق عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن قاسم العاصمي (١٣١٢-١٣٩٢هـ) من قبيلة قحطان، وُلِد في الوَشْم إحدى مناطق نجد، وتربّى في حجر أمه بسبب يتمه المبكر، فنشأ في بيئة علمية صالحة، ولم يزل مكباً على مطالعة وإخراج الكتب، حتى وفّقه الله لجمع وترتيب "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" في (٣٧) مجلد، وجمع وترتيب "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" في (١٦) مجلد .

المصدر: "ترجمة الشيخ" من موقع صيد الفوائد، ومصادر أخرى .

(٢٣٥) "حاشية الأصول الثلاثة" (ص١٣٤)، للعلاّمة ابن قاسم .

(٢٣٦) هو الإمام الفقيه المحدث عمرُ بنُ عليّ بنِ موسى بنِ خليلٍ البغداديُّ البزَّارُ (٦٨٨ هـ - ٧٤٩ هـ)، ولد في بغداد، وعنى بالحَدِيث، ورحلَ إِلَى دمشق، وجالس الإمام ابن تيمية وأخذ عَنْهُ، وَكَانَ حسن القراءة للقرآن والحَدِيث، ذا عبادة وتهجد، وصنف كثيرا فِي الْحَدِيث وعلومه، وَفِي الفقه والرقائق، وتوفي في طريقه للحجّ .

المصدر: "ذيل طبقات الحنابلة" للإمام ابن رجب .

وأما أصول الدين؛ فَإِني رأيتُ أهلَ البدع والضلالات والأهواء، قد تجاذبوا فيها الضلال، وقصدوا إبطالَ الشريعة المحمدية، وجمهورهم أوقعوا النَّاس في التشكيك في أصول دينهم، وقلَّ: أن رَأَيْتُ احداً مُقبلاً على مقالاتِهم، إلاَّ وتزندّق، وصار على غير يقين في دينِه واعتقادِه؛ فيجب على كــلّ مَن يقدر على دفعِ شبهِهم، وقطعِ أضاليلِهم: أن يبذلَ جهدَه ذبَّاً عن الملّــة الحنيفية، والسنّة الجلية[٢٣٧].

وهذا الأمر نفسُه، هو الذي جعل العلاّمة عبد المحسن العبّاد[٢٣٨] يصف "ثلاثة الأصول وأدلتها"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب بأنّها: الرسالة النفيسة، التي لا يستغني عنها عاميٌ، ولا طالب علم[٢٣٩].

(٢٣٧) "الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية" (ص٣٣-٣٤)، للبزار .
(٢٣٨) هو العلاّمة عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن العباد البدر، وُلد في الزلفي عام ١٣٥٣هـ، ودرس في معهد الرياض العلمي وكلية الشريعة، ثم بدأ التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية منذ عام ١٣٨١هـ، وعمل نائباً لرئيسها١٣٩٣هـ، ودرَّس في المسجد النبوي من عام ١٤٠٦هـ، وله العديد من الكتب والبحوث، منها: "فضل آل البيت"، و"من أقوال المنصفين في معاوية"، و"اجتناء الثمر في مصطلح أهل الأثر".
المصدر" الموقع الرسمي للشيخ .
(٢٣٩) يُنظَر "قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني" (ص١٤٩)، للعلاّمة عبد المحسن العباد .

الدعوة إلى التوحيد، قبل الدعوة إلى الأخلاق وتركِ الكبائر، وفعل السنن

الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب – رحمه الله – عندما شرحَ وصيةَ رسول الله [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] لمعاذ بن جبل – ﷺ – نصَّ على قاعدةٍ شرعيةٍ دعويةٍ، وهي: (البدءُ بالأهم، فالأهم)، كما تقدّم في (ص١٣٤) .

قال العلاّمة الألباني: إنّ الأصلَ لقوةِ الأخلاق: هو الإيمانُ والتوحيدُ الصحيح، والعقيدةُ الصحيحة، ولذلك لم يكن الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – يعالجون باديء الأمر المشاكلَ الأخلاقية قبل العقيدة الصحيحة، ولا يمكن لفردٍ، أو لجماعةٍ، أو لأمةٍ: أن يحظَوا بقوة الأخلاق، إذا كانت عقيدتهم غير صحيحة(٢٤٠) .

فإنسانٌ جاهلٌ بالتوحيد، وعنده سوء خُلق، وعنده معاص؛ فإذا علّمته التوحيد، وسكنت نفسُه إليه واطمأنت؛ فسوف يتحسّن خلقُه، وينفر عن معصيتِه، وهكذا كانت دعوة رسولِ الله [صَلّى اللهُ عَليهِ وَعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] ومنهجِه في الإصلاح، وقارن بين حال الصحابة – رضوان الله عليهم – في جاهليتهم، وحالهم عندما تطهّروا من ذلك بالإسلام والتوحيد والإيمان، كيف صار؟!!.

(٢٤٠) "مختصر العلو للعلي العظيم" (ص٦٣)، للعلاّمة الألباني .

قال العلاّمة عبد المحسن العبّاد: حديثُ رَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ))[٢٤١]، معناه: أن التقوى تكون في القلوب، وإذا كانت التقوى في القلوب، فتظهر على الأعضاء، وفي حديث النعمان بن بشير - ﷺ - قال: قال رسول الله [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((أَلا، وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وهي القَلْبُ))[٢٤٢]، وجاء عن بعض السلف: ليس الإيمانُ بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال[٢٤٣] .

إذن: الإصلاح يجب: أن يبدأ بالعلم والقلب قبل اصلاح القول والعمل، وأية دعوة لا تلتزم ذلك، فهي دعوة باطلة، لا للعقيدة أصلّت، ولا للأخلاق كسبت، ولا للطاعات حقّقت!! .

والخوارج اشتُهِروا بكثرة العبادة، والحرص على الطاعات العملية، ولكن هذا كلّه لا ينفع صاحبه، إلاّ، إذا كان على العقيدة الصحيحة، والتوحيد الصحيح، ولذلك قال عبد الله بن عمر – رضي اللهُ عنهما – لما سُئل عن القدرية: ((وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ: أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ،

---

(٢٤١) رواه مسلم (٦٦٣٣) .
(٢٤٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤١٠١) .
(٢٤٣) "شرح الأربعين النووية" (٣/٣١)، للعلاّمة عبد المحسن العباد .

مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ))[٢٤٤] .

(٢٤٤) رواه مسلم (١) .

كيفية الدعوة إلى التوحيد

إذا كنت تريدُ حقاً: أن تكون داعيةً للتوحيد؛ فادرس أولاً متناً من متون العقيدة السلفية، التي تلقتها الأمةُ بالقبول .

والأفضل: أن تدرسَه عند شيخ ثقة مأمون، ثم اخطبْ به، ودرّسه، وادع الناس إليه، وتكون بذلك من أهل التوحيد ودعاتِه على علم وبصيرة وبرهان.

قال تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [يوسف: ١٠٨] .

قال الإمام ابن تيمية: ((عَلَى بَصِيرَةٍ))، أي: على بيّنةٍ وعلم[٢٤٥] .

وأما، إذا بقي حالُك لا دراسة للتوحيد، ولا دعوة إليه، ولا حرصاً عليه، فسيبقى قدْرك ووزنك مجرد صغير من الأصاغر الذين حذّرنا منهم رسولُ الله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] بقوله: ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثَةً: إِحْدَاهُنَّ، أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ))[٢٤٦] .

قال العلاّمة الألباني: الدعاة أنفسهم، لا يعلمون حقيقة معنى: (لا إله إلاّ

(٢٤٥) "مجموع الفتاوى" (٤٢٧/٢٧) .
(٢٤٦) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩٠٨)، وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة".

الله)!!، ولذلك هم لا يدعون الناس إلى هذا المعنى؛ كما: أنهم لا يدعون الناس إلى: أن يشهدوا: أن مُحَمَّداً رسول الله[٢٤٧] .

وسبب إهمال بعض الدعاة الدعوة إلى التوحيد: ظنّهم: أن المسلمين ليسوا بحاجة للتوحيد؛ لأنّ كلّهم يقولون: لا إله إلا الله!!، لكن الواقع: أن [كثيراً من] المسلمين اليوم لا يفهمون شهادة التوحيد، كما فهمها مشركوا العرب، فهم يؤمنون بلفظها، ويكفرون بمعناها!!، فيجب على الدعاة: أن يبدءوا بشهادة: أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّداً رسول الله: بياناً وشرحاً، وليس لفظاً، فقط[٢٤٨].

فمن غير المناسب معاتبة الخطباء والدعاة بضرورة دعوتهم إلى التوحيد، وبضرورة الحرص على دعوة الناس إلى التوحيد، قبل: أن ندعوهم أولاً: أن يتعلّموا هم أنفسهم التوحيد!؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، والعلم قبل القول والعمل .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: وَقَالَ البُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –: (بَابٌ: العِلْمُ قَبْــلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ)، وَالدَّلِيــلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

(٢٤٧) "جامع تراث العلامة الألباني في المنهج" (٣٢/٧)، بشيء من التصرف والاختصار .
(٢٤٨) "دروس للشيخ محمد ناصر الدين الألباني" (١٤/٩)، بشيء من التصرف والاختصار .

وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ)) [مُحمد: ١٩]؛ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ[٢٤٩] .

قال العلاّمة عبد الرحمن بن قاسم النجدي: أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم] بأمرين: بـ (العلم) أولاً، ثم بـ (العمل)، والمبدوء به في الآية، هو (العلم)؛ فقال سبحانه: ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ))، ثم أعقبَه بـ (العمل) في قولِه: ((وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ))؛ فدلّ هذا على أمرين:

١. أن مرتبةَ العلم مُقدَّمة على مرتبة العمل؛ فوجب الاعتناء به قبل العمل .

٢. وأن العلمَ شرطٌ في صحةِ القول والعمل؛ فلا يُعتبرانِ، إلاَّ به؛ فالعلمُ مصحّحٌ للنيّةِ المصحِّحة للقولِ والعمل[٢٥٠] .

نموذج عملي تطبيقي في الدعوة إلى الله:

يقول أحدُ الخطباء: قبل ثلاثين سنة تقريباً، تولّيتُ خطابة مسجد في بغداد؛ فقلت في نفسي: آنَ لك: أن تدعو بالحقّ وللحقّ، وأن لا تغشَّ المسلمين، وأن لا تخونَ دينك، وحان وقت: أن تلتزمَ منهج البدء بالتوحيد أولاً، يقول: فأخذتُ في وقتها "كتاب التوحيد" للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وحاشية حفيده العلاّمة عبد الرحمن بن حسن عليه، المسماة: "قرّة عين الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين"، وألزمتُ نفسي: أن أتكلّم في كلِّ

(٢٤٩) "ثلاثة الأصول وأدلتها" (ص٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(٢٥٠) "حاشية الأصول الثلاثة" (ص١٨)، للعلامة ابن قاسم، بشيء من التصرف والاختصار.

خطبة من خطب الجمعة بشرحِ بابٍ من أبواب الكتاب؛ فوجدت: أنه يلزمني على الأقل سبعين خطبة لكي أكمل ذلك!!؛ فكم من الخطباء والدعاة خطبوا في الناس سبعين خطبة في مسائل التوحيد!!.

ذمّ غشّ الدعاة لمدعويهم

قال الإمام ابن تيمية: إنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَوْجَبَ فِي الدِّينِ عَامَّةً: النَّصِيحَةَ وَالْبَيَانَ، وَحَرَّمَ الْغِشَّ وَالْكِتْمَانَ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: قال رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))[٢٥١]، والنَّصِيحَةُ وَاجِبَة لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَغِشُّهُ حَرَام))[٢٥٢].

وعندما عدّد الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب "مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهلَ الجاهلية"، ذكر من ذلك: (كِتْمَانُهم الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِه)[٢٥٣]!! .

فمن أعظم الغشّ والكتمان للحقّ: أن الخطيب، والداعي، والمحاضر يتكلّم في أمرٍ من كمال الدين وفروعِه، ولكن مَن يسمعه من الحضور، إذا سألته عن معنى: (لا إله الاَّ الله) وشروطها، أو عن معنى: (مُحَمَّد رسول الله) وشروطها، ولو سألته عن (الكُفر)، أو (الشرك)، أو (النفاق)، أو عن (مسمى الإيمان وحقيقته)؟، أو عن (نواقض الإسلام)، أو عن الإيمان بـ (الله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)؛ فسيقول: هـاه هـاه لا أدري!! .

---

(٢٥١) رواه مسلم (١٩٦) .
(٢٥٢) "الفتاوى الكبرى" (٦/١٥٠-١٥١)، للإمام ابن تيمية، بشيء من التصرف والاختصار .
(٢٥٣) "مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهلَ الجاهلية" (ص٢٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

قال العلاّمة صالح الفوزان: من مسائل أهل الجاهلية: أنّهم يعلمون الحقَّ، ولكنهم يكتمونه، ولا يبيّنونه للناس، من أجل مصالحِهم الدنيوية، ومن أجل إرضاء النّاس؛ فيجب على من علِم الحقَّ: أن يبيّنه للناس، ولا يشتري به ثمناً قليلاً، ومن ذلك: أنه، إذا رأى الناسَ على باطلٍ، أو خرافاتٍ، أو شركٍ، فيجب: أن لا يسكت، بل يبيّن، ولا يترك الناسَ يقعون في عبادة الأضرحة، ومزاولة البدع المضلة؛ فإن سكت، فهذا من كتمان العلم، الذي عاب اللهُ به اليهود والنصارى: ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ))

[آل عمران: ١٨٧][٢٥٤].

(٢٥٤) "شرح مسائل الجاهلية" (ص٢٨٣-٢٨٤)، للعلاّمة صالح الفوزان، بشيء من التصرف والاختصار.

ضوابط الرفق، وعدم التنفير

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنهما– قال: ((جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ))[٢٥٥].

وقال العلاّمة المباركفوري[٢٥٦]: (وَمُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ)، أي: هو الفارقُ بين المؤمن والكافر، والصالحِ والطالح، إذ به تميّزت الأعمالُ والعمّال[٢٥٧].

---

(٢٥٥) رواه البخاري (٧٢٨١).

(٢٥٦) هو العلاّمة أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ).

المصدر: موقع المكتبة الشاملة.

(٢٥٧) "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٢٤٠/١)، للعلاّمة عبيد الله المباركفوري.

قال العلاّمة الألباني: في الحديث دليلٌ صريح: أن التفريق ليس مذموماً لذاته، فتنفير بعض الناس من (الدعوة إلى الكتاب والسنة، والتحذير مما يخالفهما من محدثات الأمور)؛ بدعوى: أنها تنفّر الناس وتفرّقهم!!؛ جهلٌ عظيم بدعوة الحقّ، وما يقترن بها من الخلاف والتعادي حولها؛ كما هو مشاهد في كلّ زمان ومكان، سنّة الله في خلقِه، ولن تجد لسنةِ الله تبديلاً، ولا تحويلاً، ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) [هود: ١١٨-١١٩] الآية))[٢٥٨].

وأهل التوحيد والسنة - بفضل الله - هم أكثرُ الناس حرصاً على ضوابط السياسة الشرعية، وعلى ضرورةِ الالتزام باستعمال الرفق واللين في موضعهما الصحيح، وعلى عدم التنفير؛ بلا إفراط ولا تفريط؛ فنسأل الله: أن يحشرنا في زمرتهم .

ولذلك، فنحن لا نسمع لمن أتانا، وقال: (لا تتكلّموا في التوحيد ونبذ الشركيات، ولا تتكلموا في السنن وإزالة البدع، حتى لا تثيروا الفتنة، وحتى لا تشقّوا صفَّ المسلمين، وحتى لا تؤججوا الخلافات)؛ فكلامه باطلٌ قطعاً .

(٢٥٨) "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٦/٧٨٠-٧٨١)، للعلاّمة الألباني .

قال الله عزّ وجلّ عن قوم ثمود: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ)) [النمل: ٤٥] .

فهذه أمة ثمود، افترقت بسبب دعوة صالح – عليه الصلاة والسلام – لهم إلى التوحيد، وهو الأمر الذي تكرَّر مع مشركي قريش، حيث كانوا يقولون: ((مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ))[٢٥٩].

فلا بد من وقوع الفُرقة، ولا بد من فتن يُبتلى بها المؤمنون: ((مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) [آل عمران: ١٧٩] .

وعن الإمام الْأَوْزَاعِيَّ[٢٦٠]، قال: كَانَ يُقَالُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى

---

(٢٥٩) رواه أحمد (٧٠٣٦)، وابن حبان (٦٥٦٧)، وحسّنه الألباني في "التعليقات الحسان" .
(٢٦٠) هو الإمام الحافظ الفقيه الزاهد الثقة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى، من كبار أتباع التابعين، و إمام أهل الشام فى زمانه فى الحديث والفقه، وروى له البخاري ومسلم، وتوفي سنة١٥٧ هـ في بيروت .
المصدر: "سير أعلام النبلاء"، للإمام الذهبي، ومصادر أخرى .

ثَغْرَةٍ مِنْ ثُغَرِ الْإِسْلَامِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ: أَلَّا يُؤْتَى الْإِسْلَامُ مِنْ ثَغْرَتِهِ؛ فَلْيَفْعَلْ[٢٦١] .

(٢٦١) "السنة" (ص١٣)، لمحمد بن نصر المَرْوَزِي .

الخلاصة

١. لا يشكّ مسلمٌ في فضل الدعوة إلى الله، لكن منهج الدعوة ليس متروكاً لأهواء الناس وآرائهم، أو لضغوط الواقع الذين يعيشون فيه .

٢. الواجب: أن تكونَ الدعوة إلى التوحيد أولاً، وفق القاعدة الشرعية: البداءة بالأهم فالأهم .

٣. وعلى ذلك كانت دعوة الأنبياء، وورثتهم من العلماء المصلحين .

٤. فالدعوة إلى التوحيد قبل الدعوة إلى الأخلاق وتركِ الكبائر وفعل السنن .

٥. والطريق نحو: أن يكون الإنسان داعيةً إلى التوحيد؛ بأن يدرس أولاً متناً من متون العقيدة السلفية، التي تلقتها الأمةُ بالقبول، والأفضل: أن يكون ذلك عند شيخ ثقة مأمون، ثم بعد ذلك يخطب به، ويدرّسه، ويدعو الناس إليه،ويكون بذلك من دعاة التوحيد على بصيرة وبرهان.

٦. فالأمرُ أولاً للدعاة بتعلّم التوحيد، قبل مطالبتهم بالدعوة إليه!! .

٧. والواجب الحذر والتحذير من غش وخيانة الدعاة لمدعويهم بكتمانهم الحق، ولبسهم الحقّ بالباطل .

الرسالةُ الخامسة

وجوب الصبر على التوحيد

تمهيد

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ﷺ -: وَجَدْنا خَيْرَ عَيْشِنا بالصَّبْرِ[٢٦٢]، وقال الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب - ﷺ -: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ[٢٦٣].

فما بالُك، إذا كان هذا الصبر على أوجب الواجبات، وأحسن الحسنات، وأصل الأصول: (التوحيد)؛ فيا خسارةَ من لم يصبر عليه!! .

قال تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ. وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [الأعراف: ١٧٥- ١٧٦] .

قال الإمام ابن القيم: وفي تشبيهِ من آثرَ الدنيا وعاجِلَها، على الله والدار الآخرة - مع وفور علمِه - بالكلبِ في حال لَهثه، سرٌّ بديع، وهو: أن هذا الذي انسلخ من آياتِ الله، واتبع هواه؛ إنما كان ذلك لشدّة لهفِه على الدنيا، ولانقطاع قلبِه عن الله والدار الآخرة، فلهفُه نظير لهث الكلب الدائم في كلّ

---

(٢٦٢) رواه أحمد في "الزهد" (٦١٢)، وصحّحه الألباني في "مختصر صحيح البخاري" .
(٢٦٣) رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٧٥/١) .

حال، و(اللهف)، و(اللهث) شقيقان، وأخوان في اللفظ والمعنى!!؛ فالكلب لا فؤادَ له، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فليس له فؤاد يحمله على الصبرِ وتركِ اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله، لم يبق معه فؤادٌ يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهف عليها .

قال الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحقّ، دُعي أو لم يدعَ، وُعِظ أو لم يُوعظ؛ كالكلب يلهث طرداً أو تركاً .

آتَاه اللهُ آياتِه نعمةً أنعم بها عليه؛ فَانْسَلَخَ مِنْها؛ كما تنسلخ الحيّة من جلدِها، وَلَوْ شاء الله لَرَفَعَه بِها؛ فضلاً، وشرفاً، وعزّاً، وَلكِنَّهُ ركن إلى الأرض، ورضي بالدنيا على الآخرة، وأطاع شيطانه، واتبع مسافلَ الأمور، وترك معاليها، ثم أخبر سبحانه: أن الرفعةَ عنده ليست بمجرد العلم، وإنما هي باتباع الحقِّ وإيثارِه، وقصدِ مرضاة الله؛ فنعوذ بالله من علمٍ لا ينفع[٢٦٤] .

(٢٦٤) "التفسير القيم" (ص٢٨٩-٢٩٥)، للإمام ابن القيم، بتصرف واختصار .

عن أبِي مَدينةَ الدَارمي[٢٦٥]- رضي اللهُ عنه - قال: ((كان الرجلانِ مِن أصحابِ النبِيِّ [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] إذا التقَيا لَم يفترقا حتى يقرأَ أحدُهُما على الآخَر: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ثُم يُسلِّمُ أحدُهُما على الآخَر))[٢٦٦].

قال الإمامُ ابن باز: أخبر اللهُ سبحانه في كتابِه عن صفةِ الرابحين وأعمالِهم، وعن صفةِ الخاسرين وأخلاقِهم، وذلك في آيات كثيرات من القرآن الكريم، وأجمعِها ما ذكره سبحانه في سورة العصر، حيث قال: ((وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) [سورة العصر] .

فأرشد عبادَه عزّ وجلّ في هذه السورة العظيمة إلى: أن أسبابَ الربح تنحصر في أربع صفات: (العلم): أن نتعلَّمَ الدين، و(العمل): أن نعملَ بالدين، و(الدعوة): أن ندعوَا للدين، و(الصبر): أن نصبِرَ على الأذى في ذلك .

وعَنْ التابعي المدني الجليل مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ: ((وَالْعَصْرِ)):قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ

(٢٦٥) قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، كما في "المعجم الأوسط"،: اسْمُ أَبِي مَدِينَةَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حِصْنٍ - رضي الله عنه - .

(٢٦٦) رواه الطبرانِي فِي "الْمعجم الأوسط" (٥١٢٤)، وصحَّحه الألبانِي في "السلسلة الصحيحة" .

بِهِ، ((إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)): النَّاسُ كُلُّهُمْ، ثُمَّ اسْتَثْنَى، فَقَالَ: ((إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا))، ثُمَّ لَمْ يَدَعْهُمْ وَذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: ((وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ))، ثُمَّ لَمْ يَدَعْهُمْ، وَذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: ((وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ))، ثُمَّ لَمْ يَدَعْهُمْ، وَذَاكَ، حَتَّى قَالَ: ((وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ))، يَشْتَرِطُ عليهم(٢٦٧).

وهذا يدلّك على أهمية هذه المسائل الأربع، ووجوب السعي الحثيث لتحقيقها، وخاصةً مسألة الصبر، وهي الرابعة منها .

قال الإمام ابن القيم: جِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا، وَلَا سَعَادَةَ، فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَتْ فِي الدَّارَيْنِ .

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا، فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا، كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ .

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ، صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ:

---

(٢٦٧) يُنظَر "تفسير ابن أبي حاتم" (١٩٤٦٨) .

عَلَى: أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ: أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ، وَيَعْمَلَ بِهِ، وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ (عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ) فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ[٢٦٨].

ولانحصار الهدى في هذه المسائل الأربع، قَالَ الشَّافِعِيُّ[٢٦٩] - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلاّ هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ[٢٧٠].

(٢٦٨) "زاد المعاد في هدي خير العباد" (٩/٣).

(٢٦٩) هو الإمامُ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلبيّ القرشيّ (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ)، هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو إمام في علم التفسير وعلم الحديث، وقد عمل قاضياً، فعُرف بالعدل والذكاء، وكان فصيحاً، شاعراً، ورحّالاً مسافراً، وأكثرَ العلماءُ من الثناء عليه، وكان قد هاجر في بداية أمره إلى المدينة النبوية، طلباً للعلم عند الإمام مالك بن أنس، ثم ارتحل إلى بغداد؛ فطلب العلم فيها عند القاضي محمد بن الحسن الشيباني، وبذلك اجتمع له فقه الحجاز، وفقه العراق، وقام بتأليف كتاب "الرسالة"، ثم سافر إلى مصر، وأخذ يعلِّم طلابَ العلم، حتى توفي فيها.
المصدر: "طبقات الشافعيين" للإمام ابن كثير، ومصادر أخرى.

(٢٧٠) ذكرَه الإمام ابن تيمية فِي "الاستقامة" (٢٦٠/٢)، والإمام ابن كثير فِي "تفسيره" (٧٥٣/٤).

الابتلاءُ واقعٌ لا محالة، وفضلُ الصَبْر عليه

قال تعالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

قال العلاّمة عبد الرحمن السعدي: فلا بد: أن يمتحنَ اللهُ عبادَه بالسراء والضراء والمشقة، كما فعل بمن قبلهم، فهي سنّته الجارية، التي لا تتغيّر، ولا تتبدّل، فكلّ من قام بدينِه وشرعه، لا بد: أن يبتليَه، فإنْ صبر على أمر الله، ولم يبالِ بالمكاره الواقفة في سبيل ذلك، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالَها، ومن السيادةِ آلتَها .

وأما: إن جعلَ فتنةَ الناس، كعذابِ الله، وصدّته المكاره عما هو بصددِه، وثنته المحن عن مقصدِه، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنّ الإيمان ليس بالتحلّي والتمني والدعاوى، حتى تصدّقَه الأعمالُ، أو تكذّبَه .

وقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم في هذه الآية؛ فقد ((مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ))، أي: الفقر، ((وَالضَّرَّاءُ))، أي: الأمراض، ((وَزُلْزِلُوا)) بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى: أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به؛ فقال ((الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ))، ولما كان الفرج

عند الشدّة، وكلما ضاق الأمر اتسع، فقال تعالى: ((أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ))، وهكذا، فإن كلّ من قام بالحق، فإنه يمتحَن؛ وإذا صابر وثابر على ما هو عليه، انقلبت المحنةُ في حقّه منحة، وصارت المشقات راحات، وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء، وشفاء ما في قلبِه من الداء، وعند الامتحان، يكرم المرء أو يُهان؛ كما في قوله تعالى: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)) [آل عمران:١٤٢] .

وقولِه تعالى: ((الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))

[العنكبوت: ١-٢][(٢٧١)] .

وقال الإمام ابن القيم: فمن آمن بالرسل، وأطاعهم، عاداه أعداؤهم، وآذَوه؛ فابتُلي بما يؤلمه، وإن لم يؤمن بالرسل، ولم يُطِعْهم، عوقب في الدنيا، والآخرة؛ فيحصل له من الألم أعظمَ، وأدومَ من ألم اتّباعهم .

فلا بد من حصول الألم لكلِّ نفسٍ آمنت، أو امتنعت من الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمُعْرِض عن الإيمان تحصل له اللذةُ ابتداءً، ثم يصير في الألم الدائم .

وسئل الشافعي: أيهما أفضل للرجل: أن يُمكَّن، أو يُبتلى؟؛ فقال: لا يُمكَّن حتى يبتلى .

---

(٢٧١) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (ص٩٦)، للعلاّمة السعدي .

فأعقل الناس من باع ألمًا مستمرًّا عظيمًا، بألمٍ منقطع يسير، وأسْفَهُهم من باع الألمَ المنقطع اليسير؛ بالألم العظيم المستمر[٢٧٢] .

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ - رضي الله عنه - قال: ((شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ [صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم]، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ، أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[٢٧٣] .

(٢٧٢) "زاد المعاد في هدي خير العباد" (١٣/٣)، للإمام ابن القيم، بشيء من التصرف والاختصار .

(٢٧٣) رواه البخاري (٣٦١٢) .

من لم يصبر على التوحيد، صار عدواً له

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف: أن التوحيدَ دين اللَّهِ ورسولِه [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم]، وأقرَّ: أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر، التي هي دين غالب الناس: أنها الشرك باللَّهِ، الذي بعثَ اللَّهُ رسولَه [صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم] ينهى عنه، ويقاتل أهلَه، ليكونَ الدين كلّه للَّهِ، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلّمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشركَ، فهذا كافرٌ، نقاتله بكفرِه؛ لأنه عرف دين الرسول [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم]، فلم يتبعْه، وعرف الشرك، فلم يتركْه، مع: أنه لا يبغض دين الرسول [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم]، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزيّنه للناس .

النوع الثاني: من عرف الشرك والتوحيد، ولكنه تبيَّن وتميّز في سبِّ دين الرسول [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه وسلَّم]، مع ادعائه الانتساب إليه!!؛ فهذا أعظم وأخطر من الأول، وفيه قوله تعالى: ((وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)) [التوبة: ١٢] .

النوع الثالث: من عرف التوحيدَ، وأحبّه، واتبعه، وعرف الشركَ، وتركَه،

ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحبّ من بقي على الشرك، فهذا كافر، فيه قوله تعالى: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)) [محمد: ٩] .

النوع الرابع: من سلِم مما سبق كلّه، ولكنّ أهلَ بلده يصرّحون بعداوة أهل التوحيد، واتباعِ أهلِ الشرك، وساعين في قتالِهم، ويعتذر: بأن تركَ وطنِه يشقّ عليه، فيقاتل أهلَ التوحيد مع أهل بلده!!، ويجاهد معهم بماله ونفسه!!، فهذا كافر، وهو ممن قال اللهُ فيهم: ((سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا)) [النساء: ٩١] .

فهذا الذي نقول: إننا نكفّر هذه الأنواع الأربعة، لأجل محادّتِهم للَّهِ ورسوله، فرحم اللَّهُ امرأً نظر في صلاحِ نفسِه، وعرف: أنه ملاقٍ اللَّهِ ربّه[٢٧٤] .

(٢٧٤) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١/١٠٢-١٠٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

موافقة المشركين على دينِهم في الظاهر، دون الباطن

ذمّ موافقة الباطل وأهله:

قال الإمام ابن القيم: الناس لهم إرادات وتصوُّرات، فيطلبون ممن هو معهم: أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه، وإن وافقهم حصل له كذلك الأذى، تارةً منهم، وتارةً من غيرهم، كمن عنده دِين وتُقًى، وحلَّ بين قوم فُجَّار ظَلَمة، ولا يتمكّنون من فجورهم وظُلْمهم إلاّ بموافقته لهم، أو سكوته عنهم، فإن وافقهم، أو سكت عنهم، سَلِم من شرّهم في الابتداء، ثم يتسلَّطون عليه بالإهانة والأذى، أضعافَ ما كان يخافه منهم ابتداءً، لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلم منهم، فلا بُدَّ: أن يُهان ويُعاقَب على يد غيرهم، فالحزمُ كلُّ الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين عائشة لمعاوية – رضي الله عنهما –؛ فلما ((كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلاَ تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] يَقُولُ: ((مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ))،وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ))[٢٧٥].

ومن تأمّــل أحوال العالم، رأى هذا كثيرًا فيمن يُعين الرؤساءَ على أغراضهم

(٢٧٥) رواه الترمذي (٢٤١٤)، وابن حبان (٢٧٦)، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن" .

الفاسدة، وفيمن يعين أهلَ البدع على بِدَعهم هربًا من عقوبتهم .
أما من هداه الله، وألهمه رُشْدَه، ووقاه شرَّ نفسه؛ فإنه يمتنع من الموافقة على فعل المحرَّم، ويصبر على عداوتهم، وتكون له العاقبة في الدنيا والآخرة[٢٧٦] .

موافقة المشركين على دينهم، كفرٌ وردّة:

١ . ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا)) [النساء: ٥١-٥٢] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: ((لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ، قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الصُّنْبُورِ الْمُنْبَتِرِ [هو الضعيف الذليل] مِنْ قَوْمِهِ يَزْعُمُ: أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا،وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ، وَأَهْلُ السِّدَانَةِ، وَأَهْلُ السِّقَايَةِ؟، قَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: فَأُنْزِلَتْ: ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ)) [الكوثر: ٣]، وَأُنْزِلَتْ: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ))، إِلَى قَوْلِهِ: ((فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا)) [النساء: ٥٢]))[٢٧٧] .

---

(٢٧٦) "زاد المعاد في هدي خير العباد" (٣/١٨-١٩)، للإمام ابن القيم، بتصرف واختصار .
(٢٧٧) "جامع البيان" (٧/١٤٢)، وصحّحه الوادعي في "أسباب النزول" (ص٦٧) .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: دلّت الآية على: أنّ معنى (الإيمان بالجبت والطاغوت)، هو موافقة أصحابِها، ولو مع بغضِها، ومعرفةِ بطلانِها[٢٧٨].

٢. وقال تعالى: ((مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) [النحل: ١٠٦-١٠٧].

قال العلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ[٢٧٩]:إنّ الإنسانَ، إذا أظهر للمشركين الموافقةَ على دينهم، خوفاً منهم، أو مداراةً لهم، أو مداهنةً لدفع شرّهم، فإنه كافرٌ مثلهم، حتى وإنْ كان يكره دينَهم ويبغضهم، ويحبّ الإسلام

(٢٧٨) "كتاب التوحيد" (ص٧٠)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(٢٧٩) هو الفقيه المحدّث الأصولي سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٠-١٢٣٣هـ)، وُلِد في الدرعية، وقرأ القرآن حتى حفظه، ثم أقبل برغبته الشديدة على العلم والطلب، فقرأ على أبيه الشيخ عبد الله، وأخذ العلم عن خلق كثير من أهل نجد وغيرهم، وعُرِف بالحفظ، والذكاء، والمعرفة المتناهية بالحديث ورجاله، وحسنه وضعيفه، والعلم بالتفسير والفقه والأصول والنحو، وأرسله الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود على قضاء مكة، وألّف المؤلفات النافعة الجليلة، منها: "تسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد"، و"الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك"، و"حاشية على المقنع في الفقه"، و"التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق"، وكان شديد الغيرة على حرمات الإسلام والدين، أمّاراً بالمعروف نهاءً عن المنكر، وكان هذا من أسباب قتله، وذلك عندما وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم بن محمد علي باشا، عندما إستولى على مدينة الدرعية، فأمر الجند: أن يطلقوا عليه رصاص بنادقهم دفعة واحدة، فنسأل الله: أن يتغمده بالرحمة والغفران .

المصدر: "مشاهير علماء نجد"، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .

والمسلمين، ولا يستثنى من ذلك إلاَّ المكره.

والمكره في لغتنا، هو: (المغصوب)، هو الذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: (أُكفر، أو افعل كذا، وإلاَّ، فعلنا بك وقتلناك)، أو يأخذونه، فيعذّبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان .

فحكَم تعالى في الآية حُكماً لا يبدّل: أن من رجع عن دينِه إلى الكفر؛ فهو كافر، سواء فعل ذلك خوفاً على نفسٍ، أو مالٍ، أو أهلٍ، أم لا، وسواءً كفَر بباطنِه وظاهرِه، أم بباطنِه دون ظاهرِه، وسواءً كفَر بفعالِه، أو مقالِه، أو بأحدِهما دون الآخر، وسواءً كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين، أم لا؛ فهو كافر على كلّ حال، إلاّ المكره .

ثم أخبر تعالى: أن سببَ هذا الكفر، والعذاب، ليس بسبب الاعتقاد منهم للشرك، ولا الجهل منهم بالتوحيد، أو البغض منهم للدين، أو محبتهم للكفر .

وإنما سببه: أن له في ذلك حظّاً من حظوظ الدنيا؛ فآثره على الآخرة، وعلى رضى ربّ العالمين؛ فكفّرهم تعالى، وأخبر: أنه لا يهديهم، مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا(٢٨٠) .

٣. وقال تعالى: ((إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)) [الكهف: ٢٠] .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: دلّت الآية على المسألة العظيمة،

(٢٨٠) "الدرر السنية" (٨/١٢١-١٣٣)، للعلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ، بتصرف واختصار.

وهي: أنّ الفتيةَ المؤمنون علِموا: أنه لا بدّ أمامهم من أحد أمرين: (إما الرجم، وإما الإعادة في ملّة الكفر)، فإن وافقوا على الثانية، لم يفلحوا أبداً، ولو كان في قلوبِهم محبة الدين، وبغض الكفر .

٤. وقال تعالى: ((قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ. وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)) [الزمر: ٦٤-٦٦] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: ((إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا، فَيَكُونَ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطَئُوا عَقِبَهُ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلَاحٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟، قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً (اللَّاتَ وَالْعُزَّى)، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي؛ فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)) السُّورَةُ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ((قُــلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ))، إِلَى قَوْلِهِ: ((بَلِ اللَّهَ

فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)) [الزمر: ٦٦]))[٢٨١].

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: دلّت الآياتُ على مسائل منها:

١. دلّ قولُه تعالى: ((أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)) على: أنّ الجهلَ، وسخافةَ العقل، هو موافقةُ المشركين في الظاهر، وأن العقلَ، والفهمَ، والذكاءَ هو التصريحُ بمخالفتهم ولو ذهب جميعُ مالِك، خلافاً لما عليه أهلُ الجهل من اعتقادِ: أن بذلَ دينِك لأجلِ مالِك، هو العقل!!.

٢. إنَّ المسلمَ، إذا أطاع من أشارَ عليه بالشركِ في الظاهر، كَفَرَ، حتى ولو كان باطنُه يعتقد الإيمان!، فإن المشركين لم يريدوا من النبيَّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] تغيير عقيدتِه [بل أرادوا منه الموافقة الظاهرية، فقط] .

٣. وفيه البيانُ، والإبطال لما يكثر وقوعُه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهارِ الموافقة للمشركين خوفاً منهم، ويظن: أنه لا يكفر بذلك، إذا كان قلبُه كارهاً لذلك![٢٨٢] .

٤. دلّت الآيةُ على: أن أقربَ الخلْق منزلةً عند الله لو فعل الشرك،

---

(٢٨١) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (٧٠٣/٢٤)، للإمام ابن جرير الطبري، وحسّنه الألباني في "صحيح السيرة النبوية" .

(٢٨٢) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٣٤٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار.

لم يُسامَح[٢٨٣] .

أقسام موافقة المشركين:

قال العلاّمة حمَد بن عتيق[٢٨٤]: إظهارَ الْموافقةِ للمشركين بالنطقِ بالكفر، أو بفِعلِه، مع مُخالفتِه لَهم فِي الباطن، هي على نوعين:

أحدُهُما: أن يفعلَ ذلك، لأنه فِي سلطانِهم، مع ضربِهم، وتقييدِهم له، ويتهدَّدونه بالقتل؛ فيجوز له موافقتُهم فِي الظاهر، مع كونِ قلبِه مطمئناً بالإيمان؛ كما قال تعالَى: ((مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)) [النحل:١٠٦] .

الثانِي: أن يوافقَهم، وهو ليس فِي سلطانِهم، وإنّما حَملَه على ذلك: إما خوفٌ، أو طمعٌ فِي رئاسة، أو مال، أو بُخلٌ بوطنِه، أو عيالِه؛ فيكون مرتدّاً،

---

(٢٨٣)"تفسير آيات من القرآن الكريم"(ص٣٣٩)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار.

(٢٨٤) هو العلاّمة الفاضل المحقق الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق، (١٢٢٧- ١٣٠١هـ)، ولد في الزلفي من بلدان نجد، وقرأ القرآن حتى حفظه، ثم قدم الرياض سنة (١٢٥٣هـ) زمن الإمام فيصل بن تركي، فمكث بها تسع سنين يقرا فيها على العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وتخرّج عليه، وكان حريصاً مجتهداً، فمهر في علم الفقه والعقائد وأصول الدين والتوحيد، وولاه الإمام فيصل القضاء في بعض المناطق، وجلس لطلاب العلم، يقرأون عليه؛ فتخرج به خلائق لا يحصون كثرة، من أجلّهم الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف، وقرأ عليه كذلك ابنه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق العالم المشهور، وقد ألف الشيخ مؤلفات كثيرة، منها: "إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد"، و"بيان النجاة والفكاك"، و"الدفاع عن أهل السنة والإتباع"، ورسالة كتبها لصديق بن حسن خان ينّبهه فيها على أخطاء تفسيره، وقد كان معروفا بقوة الإيمان، وصلابة الدين، ونشر الدعوة .
المصدر: "مشاهير علماء نجد"، للعلاّمة عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .

ولا تنفعه كراهتُه له فِي الباطن، وهو مِمن قال اللهُ فيهم: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) [النحل:١٠٧]))[٢٨٥] .

(٢٨٥) "سبيل النجاة والفكاك" (ص١١٢-١١٣)، للعلاّمة حمَد بن عتيق، بشيء من التصرف والاختصار .

شروطُ الحنيفية وحالاتها، والتي سبق ذكرها في (ص١٠٧- ١١٤)، جُمِعت في قولِه تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ)) [يونس:١٠٤-١٠٦] .

وأكثر هذه الشروط والحالات، تدل على: أن تحقيق الحنيفية، هو صبرٌ على التوحيد، كما يلي:

١. قولِه تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ))، أي: ترْكُ عبادةِ غيرِ الله مطلقاً، ولو حاوله أبوه وأمُّه على الضدِّ من ذلك: إما بالطمع الجليل، أو الإخافةِ الثقيلة؛ كما جرى لسعد بن أبي وقاص- ﷺ - مع أمِّه .

٢. قولِه تعالى: ((وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))، فإن قدّر: أنه ظنَّ وجودَ الترْكِ منه للشرك، والفعلَ منه للتوحيد؛ فلا بدّ من تصريحِه: بأنه من هذه الطائفة – طائفة التوحيد والسنّة – ولو لم يحقّق هذا إلاَّ بالهرب

والهجرةِ عن بلدِ الطواغيت، الذين يبلغون الغايةَ في العداوة للتوحيد، حتى يصرّحَ: أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

٣. قولِه تعالى: ((وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ))، فإن قدّر: أنه ظنَّ وجودَ الثلاثة السابقة، فقد لا يبلغ مرتبةَ الجدِّ في العمل بالدين؛ والجدُّ والصدقُ، هو إقامةُ الوجهِ للدّين .

٤. قولِه تعالى: ((وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))، فإن قدّر: أنّه ظنَّ وجودَ الخمسة السابقة، فلا بدَّ: أن يتبرأَ من المشركين - بقلبِه ولسانِه وجوارحِه -، فلا يكثّر سوادَهم .

٥. قولِه تعالى: ((وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ))، فإن قدَّر: أنّه ظنَّ وجودَ الستة السابقة، فقد يدعو - من غيرِ قلبِه - نبيّاً، أو غيره؛ لشيءٍ من مقاصدِه وأغراضِه، كأن يكونَ دَيْناً!!، ويظنّ: أنه، إنْ نطَقَ بذلك من غيرِ قلبِه؛ لأجل كذا، وكذا من الدنيا، خصوصاً عند الخوف: أنه لا يدخل في دعاء غير الله!!.

فما أعزَّ وأقلَّ من يتخلّص من هذا!!، بل ما أعزَّ وأقلَّ من يفهمه، وإن لم يعمل به، بل ما أعزَّ وما أقلَّ من لا يظنّه جنوناً!!، والله أعلم .

الهجرة عند العجز عن التوحيد

قال العلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: هناك فرقٌ بين مَن عجَز عن إظهار العداوةِ للمشركين، وأنه يُعذَر بذلك، وبين وجود العداوة لهم في القلب، وهي لا بد منها؛ فإن من لم توجد العداوةُ في قلبه، لم يعادِ المشركين .

وأما من كانت موجودة في قلبِه، لكن عجز عن إظهارِها، فالواجب عليه مفارقة أوطانهم، والبعد عنهم، فإن لم يهاجر؛ فهو عاصٍ لله بإقامته بين أظهر المشركين(٢٨٦) .

وقال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: الْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى: أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ(٢٨٧) .

وقد حكى الإجماعَ على وجوبِها من بلد الشرك إلى بلد الإسلام غيرُ واحد من أهل العلم(٢٨٨) .

ما هو (بلد الشرك)؟.

قال العلاّمة ابن عثيمين: (بلد الشرك)، هو: البلدُ الذي تقام فيها شعائر الكفر، ولا تُقام فيه شعائر الإسلام – كالأذان، والجماعة، والعيد، والجمعة – على وجهٍ عام شامل.

---

(٢٨٦) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (٣١٢/٣)، للعلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار .
(٢٨٧) "ثلاثة الأصول وأدلتها" (ص١١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(٢٨٨) تُنظَر "حاشية الأصول الثلاثة" (ص١٢٣)، للعلاّمة ابن قاسم .

أما البلدان التي فيها أقليات مسلمة، فلا تُقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل[٢٨٩] .

الْهِجْرَةَ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَى: أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

١. الدليل على ذلك: قَوْلُهُ تَعَالَى: ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيراً. إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً. فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً)) [النساء:٩٧-٩٩] .

قال الإمام ابن كثير: هَذِهِ الْآيَة عَامَّة فِي كُلّ مَنْ أَقَامَ بَيْن ظَهْرَانَيْ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ قَادِر عَلَى الْهِجْرَة، وَلَيْسَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِقَامَة الدِّين؛ فَهُوَ ظَالِم لِنَفْسِهِ، مُرْتَكِب حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ، وَبِنَصِّ هَذِهِ الْآيَة .

((إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً))، وهَذَا عُذْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ فِي تَرْكِ الْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ قَدَرُوا مَا عَرَفُوا الطَّرِيقَ[٢٩٠].

---

(٢٨٩) "شرح ثلاثة الأصول" (ص١٣٠)، للعلاّمة ابن عثيمين .
(٢٩٠) "تفسير القرآن العظيم" (٢/٣٨٩-٣٩٠)، للإمام ابن كثير .

٢. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ((يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)) [العنكبوت:٥٦] .

قال الإمام ابن كثير: هَذَا أَمْرٌ مِنْ اللَّه تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ بِالْهِجْرَةِ مِنْ الْبَلَد الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَى إِقَامَة الدِّين إِلَى أَرْض اللَّه الْوَاسِعَة، حَيْثُ يُمْكِن إِقَامَة الدِّين؛ بِأَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ وحده، وَيَعْبُدُوهُ[٢٩١] .

قال الإمام البغوي[٢٩٢]: إنّها نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ بِمَكَّةَ، وَقَالُوا: نَخْشَى، إِنْ هَاجَرْنَا مِنَ الْجُوعِ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَلَمْ يَعْذُرْهُمْ بِتَرْكِ الْخُرُوجِ[٢٩٣].

٣. وعن معاويةَ بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله [صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلِه وصحبِهِ وسلَّم]: ((لاَ تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[٢٩٤] .

دلَّ الحديثُ على: أن التوبةَ ما دامت مقبولة؛ فالهجرة تبقى واجبة[٢٩٥] .

شروط السفر إلى بلاد الكفار:

السفرُ إلى بلاد الكفار، لا يجوز إلاَّ بثلاثة شروط؛ فإنَّ المساكنةَ تدعو إلى المشاكلة:

---

(٢٩١)"تفسير القرآن العظيم" (٦/٢٩٠)، للإمام ابن كثير .
(٢٩٢) هو الإمام، الحافظ، المفسّر، مُحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (٤٣٣-٥١٦هـ)، وُلِد في خراسان، وألّف التصانيف، كـ "شرح السنة"، و"معالم التنزيل"، و"الجمع بين الصحيحين".
المصدر: "سير أعلام النبلاء"، للإمام الذهبي .
(٢٩٣) "معالم التنزيل في تفسير القرآن" (٦/٢٥٢)، للإمام البغوي .
(٢٩٤) رواه أحمد (١٦٩٠٦)، وأبو داود (٢٤٨١)، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن" .
(٢٩٥) تُنظَر "حاشية الأصول الثلاثة" (ص١٢٦)، للعلاّمة ابن قاسم .

الأول: أن يكونَ عند الإنسان علمٌ يدفع به الشبهات .

الثاني: أن يكونَ عند الإنسان صبرٌ يمنعه من الشهوات .

الثالث: أن يكون الإنسانُ محتاجاً إلى ذلك؛ فيبقى على قدر الضرورة[٢٩٦] .

(٢٩٦) يُنظَر "شرح ثلاثة الأصول" (ص١٣١، و١٣٨)، للعلاّمة ابن عثيمين .

محبة الدنيا، من أسباب عدم الصبر على التوحيد

ضابطُ محبة الدنيا:

قال الصحابي الجليل جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البجلي - ﷺ -: ((حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَة)) .

قال الإمام ابن تيمية: وهَذَا مَعْرُوفٌ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البجلي - ﷺ - ، وَأَمَّا عَنْ النَّبِيِّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وَصحبِه وَسَلَّمَ]؛ فَلَيْسَ لَهُ إسْنَادٌ مَعْرُوفٌ(٢٩٧).

وَالَّذِي يُعَاقَبُ عَلَيْهِ الرَّجُلُ من ذلك، هو الْحُبُّ الَّذِي يَسْتَلْزِمُ الْمَعَاصِيَ، فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الظُّلْمَ، وَالْكَذِبَ، وَالْفَوَاحِشَ، وَلَا رَيْبَ: أَنَّ الْحِرْصَ عَلَى الْمَالِ، وَالرِّيَاسَةِ، يُوجِبُ هَذَا، كذلك، وَقَالَ النَّبِيُّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وَصحبِه وَسَلَّمَ]: ((مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا، وَهِيَ رَاغِمَةٌ))(٢٩٨) .

فَأَمَّا مُجَرَّدُ الْحُبِّ فِي الْقَلْبِ، إذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَفْعَلُ معه مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَيَتْرُكُ

---

(٢٩٧) "مجموع الفتاوى" (١٢٣/١٨)، للإمام ابن تيمية .
(٢٩٨) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وابن ماجه (٤١٠٥)، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن" .

مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَيَخَافُ مَقَامَ رَبِّهِ، وَيَنْهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَاقِبُهُ عَلَى مِثْلِ هَذَا[٢٩٩] .

وعَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رَضي اللَّهُ عنه – قال: قال رسولُ الله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وَصحبِه وَسَلَّمَ]: ((مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ؛ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى))[٣٠٠] .

وقال تعالى: ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) [التوبة: ٢٤] .

قال العلاّمة عبد الرحمن السعدي: هذه الآية الكريمة دلّت على مسائل، منها:

١. وجوب محبة اللهِ ورسوله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وَصحبِه وَسَلَّمَ]، وتقديمِها على محبةِ كلّ شيء .

٢. الوعيد الشديد، والمقت الأكيد على من كان شيءٌ من المذكورات

(٢٩٩) "الفتاوى الكبرى" (٥/١٢٩-١٣٠)، للإمام ابن تيمية، بشيء من التصرف والاختصار .
(٣٠٠) رواه أحمد (١٩٦٩٧)، وابن حبان (٧٠٩)، وصحّحه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" .

الثمانية في الآية، أحبّ إليه من اللهِ ورسوله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وَصحبِه وَسَلَّمَ]، وجهاد في سبيلِه .

وعلامة ذلك: أنه، إذا عُرض عليه أمرٌ تُحبّه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وَصحبِه وَسَلَّمَ]، أو يُنقصه، فإنه، إن قدّم ما تَهواه نفسه على ما يُحبّه الله: دلّ ذلك على: أنه ظالم، تارك لما يجب عليه[٣٠١] .

قال الإمام البقاعي: فمَن آثر حبَّ شيءٍ من هذه المذكورات الثمانية على حبّه تعالى، كان مارقاً من دينه، راجعاً إلى دين من آثره؛ فيستحق بذلك قارعةً لا يطيقها، ويخسر الدنيا والآخرة[٣٠٢] .

الدنيا سبب الردّة عن التوحيد:

١ . قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)) [البقرة: ١٦٥] .

يقول الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: (الأنداد): هي كلُّ ما جذبك عن

(٣٠١) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (ص٣٣٢)، للعلاّمة عبد الرحمن السعدي.
(٣٠٢) "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" (٤٢٢/٨-٤٢٣)، للإمام البقاعي .

دين الإسلام، من أهلٍ، أو مسكنٍ، أو عشيرة، أو مال؛ فهو ندّ[٣٠٣] .

٢. قال تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))

[الأعراف: ١٧٥-١٧٦] .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب: دلّت الآيتان على مسائل، منها:

أ. أنّ من أخلد إلى الأرض، وركن للدنيا؛ فقد اتبع هواه، حتى لو عرف الحقّ وأحبّه، ولو عرف الباطل وأبغضه .

ب. أن محبةَ الدنيا، تكون سبباً لردّة العالِم عن الإسلام .

ج. معرفة خطورة الفتنة، وأنه لا بد من وقوعها؛ فليتأهب العاقل لذلك، وليسأل اللهَ العافية[٣٠٤] .

٣. قال تعالى: ((مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ

(٣٠٣) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٢٢/٢-١٢٣)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(٣٠٤) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص١١٢)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))

[النحل: ١٠٦- ١٠٧] .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب: فَصَرَّحَتِ الآيةُ: أنَّ الْعَذَاب لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ للشرك، أوَ الْجَهْلِ بالتوحيد، وَالْبُغْضِ لِلدِّيْنِ، أَوْ مَحَبَّةَ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ: أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، فآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ(٣٠٥) .

٣. قال تعالى: ((قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ. وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)) [الزمر: ٦٤-٦٦] .

قال الشيخُ الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب: دلَّت الآيةُ على: أنَّ أعظمَ الناس إخلاصاً، وأكثرهم حسنات، لو قال كلمةَ الشرك – مع كراهيته لها – ليقودَ غيره بها إلى الإسلام، فقد حبِط عمله، وصار من الخاسرين!!؛ فكيف بمن أظهر: أنَّه من المشركين، وتكلّم بمئة كلمةٍ لأجل التجارة، أو لأجل: أن

(٣٠٥) "كشف الشبهات" (ص٢٦)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

يحجَّ!![٣٠٦] .

سلامة التوحيد قبل ملذّات الدنيا:

١. قال تعالى: ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ. قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)) [آل عمران: ١٤-١٥] .

قال الإمام البقاعي: فإنما وقف بهم عن الإيمان: (شهواتٌ، وعَرَضٌ زائل)، لا يُؤثره على اتباع ما شرعَه الملكُ سبحانَه، إلاَّ من انسلخ عن صفات البشر إلى طَور البهائم، التي لا تعرف إلاّ الشهوات[٣٠٧] .

٢. قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)) [الأنعام: ٥٣] .

---

(٣٠٦) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (١١/٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بتصرف واختصار.

(٣٠٧) "نظم الدرر"(٢٦٧/٤)، للإمام البقاعي، بشيء من التصرف والاختصار.

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب: دلّت الآية على: أن الدينَ، إن صحّ، فهو المنّةُ العظيمة التي لا تساويها مِننُ الدنيا[٣٠٨] .

٣. قال تعالى: ((وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا)) [الكهف: ١٦] .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب: هذه الآية فيها مسائل، منها:

١. شدّة صلابة هؤلاء الفتية المؤمنين في دينهم، حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة، والنعمة الجليلة، واستبدلوا بها كهفاً في رأس جبل!!.
٢. حسنُ ظنِّهم بالله، ومعرفتِهم بثمرة طاعتِه، ولو كان في بدايتها ذهاب الدنيا؛ كما في الكلام المشهور: (التعب يثمر الراحة، والراحة تثمر التعب)[٣٠٩] .

فنسأله سبحانه: أن يقسم لنا الخير، والراحة في الدين، والدنيا، والآخرة، إنه سميع، قريب، مجيب .

(٣٠٨) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٥٨)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بتصرف واختصار .
(٣٠٩) المصدر السابق (ص٢٤٤) .

جواب من أشار بموافقة أهل الشرك، لأجل الدنيا

قال تعالى: ((قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)) [الأنعام: ٧١-٧٣] .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: هذه الآياتُ فيها أربعة عشر جواباً لمن أشار عليك بموافقةِ السواد الأعظم على الباطل، وبطاعتِهم بما تصير به مرتداً؛ لأن في ذلك بزعمِهم مصلحة الدنيا، والهرب من مضارها!!، وهذا الجواب إنما هو جواب المؤمن الفقيه:

١. قوله تعالى: ((أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا)):

فكيف نُدبر ونُعرض عن دعاء الله وحده، ونقبل على التعلّق بالمخلوق الذي لا ينفع، ولا يضر؟!!، ومجرد تصوّر هذا كافٍ في إثبات فسادِه وبطلانه .

٢. قوله تعالى: ((وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ)):

فحتى لو رأينا أهل بلدِنا ينحرفون إلى ما يهلكهم؛ فكيف نلتهي وننشغل بذلك بعد: أن هدانا اللهُ لصراطِه المستقيم؟!!.

٣. قوله تعالى: ((كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا)):

وكيف نصير إلى الحال الفاسدة التي فيها استهواءُ الشيطان والحيرة؟!؛ فإن مجرد تصوّر ذلك هو أبلغ ما يبغّض إليك موافقة أهل الباطل، بل ويرغّبك في الثبات على ما يخالفونه .

٤. قوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى)):

وهذا جوابك لمن زعم: أن الهدى، هو موافقة فلان أو فلان؛ لأنهم الأكثرية!!؛ فتجيبه: ((إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى)) .

٥. قوله تعالى: ((وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)):

فإذا أمرك بالاستسلام لفلان، أو للدنيا؛ فتجيبه: أن اللهَ أمرك بالاستسلام لمن لا أحسنَ من الإستسلام لغيرِهِ .

٦. قوله تعالى: ((وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ)):

أمرنا سبحانه بإقامة الصلوات، وهذه خصلة مسلّمة لا جدال فيها، والذين أمرتني بموافقتهم لا يقيمونها، بل يقيمها، فقط، الموحدون الذين أمرتني بتركهم .

٧. قوله تعالى: ((وَاتَّقُوهُ)):

فنحن مأمورون بتقوى الله، وأنت تأمرني بتقوى الناس؟!! .

٨. قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)):

الله الذي تأمرني بتركِ أمرِه، ((هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ))؛ فكيف ينصرف عاقلٌ عن العبودية له إلى العبودية لغيره، ونحن منقلبون محشورون إليه؟!! .

٩. قولُه تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ)):

ومقتضى ما تأمرني به من الباطل، وما تنهاني عنه من الحقّ: أنه – حاشاه – خلقهما باطلاً!!.

١٠. قولُه تعالى: ((وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ)):

وهذا – الذي تأمرني بترك أمرِه – ما حشَرَ هذا الخلق العظيم، إلاَّ بقولِه: ((كُنْ فَيَكُونُ))؛ فهلا عظَّمته حقَّ عظمتِه؟!.

١١. قولُه تعالى: ((قَوْلُهُ الْحَقُّ)):

وهذا – الذي تأمرني بترك أمره – لا يقول إلاَّ الحقّ، وقد وعَدَنا على ذلك بالخلود في النعيم، وتوعّدَ تاركه بالخلود في الجحيم؛ فكيف بعد ذلك أطيعك أنت؟، ومن أنت حتى أطيعك؟!! .

١٢. قولُه تعالى: ((وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ)):

فإذا أقررتَ: بأنَّ له سبحانه الملك في ذلك اليوم، وأن عذابَه ونعيمَه دائمان؛ فكل ما ترجوه من شفاعاتِ المخلوقين، أو تأثيراتِهم في ذلك اليوم؛ فباطلة .

١٣. قولُه تعالى: ((عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)):

فلا يمكنك: أن تلبِّسَ عليه سبحانه، أو: أن تخدعَه، بخلاف تلبيسِك على المخلوقين، وخداعِك لهم، ولو كانوا من الأنبياء!! .

١٤. قولُه تعالى: ((وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)):

ومقتضى الحكمة والخبرة: أن لا يجعلَ من اتبع أمرَه - وقد فارقَ أقربَ الناس إليه بسبب ذلك -؛ كمن ضيَّع أمرَه موافقةً للناس - حاشاه من ذلك -؛ ولهذا يقول الموحّدون يوم القيامة لمّا يقول سبحانه لهم: ((مَا تَنْتَظِرُونَ؟، تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ؛ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ...))[٣١٠].

فنسأل اللهَ: أن نكون منهم، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاَّ من أتى اللهَ بقلبٍ سليم[٣١١].

(٣١٠) رواه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (٣٠٢).
(٣١١) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٦١-٦٣)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار.

الخوف من غير اللّه، من أسباب عدم الصبر على التوحيد

الخوف من الله وحده لا شريك له:

قال العلاّمة ابن عثيمين: يجب على المرء: أن يجعلَ الخوفَ من الله فوق كلّ خوف، وأن لا يباليَ بأحدٍ في شرع الله تعالى، وأن يعلمَ: أنّ من التمس رضا الله تعالى – وإنْ سخط الناسُ عليه – فالعاقبة له، وإن التمسَ رضا الناس، وتعلّق بهم، وأسخطَ اللهَ عليه بسبب ذلك، فتنقلب عليه أحوالُه، ولا ينال مقصودَه، بل يحصل له عكس مقصودِه، وهو: أن يسخطَ اللهَ عليه، ويُسخط عليه الناس(٣١٢) .

قال تعالى: ((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) [آل عمران: ١٧٥] .

قال الإمام ابن كثير: أَيْ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ، وَيُوهِمُكُمْ: أَنَّهُمْ ذَوُو بَأْسٍ وَذَوُو شِدَّةٍ(٣١٣).

وقال الإمام ابن القيم: المعنى: أن الشيطان يخوّفكم بأوليائِه، وقال قتادة: يعظّمهم في صدوركم .

فكلما قوى إيمانُ العبد زال من قلبِه خوفُ أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان

(٣١٢) "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (٦٦٥/١٠)، للعلاّمة ابن عثيمين، بشيء من التصرف والاختصار.

(٣١٣) "تفسير القرآن العظيم" (١٧٢/٢)، للإمام ابن كثير، بشيء من التصرف والاختصار .

العبد قوى خوفه منهم[٣١٤] .

قال تعالى: ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الأنعام: ٧٩- ٨١] .

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: في هذه الآيات، تصريحُ إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لقومِه بالتوحيد، ولم يدارهم مع كثرتهم ووحدتِه!!، وفي الآيات، أيضاً، كذلك: أنهم لما خُصِموا رجعوا إلى التخويف؛ كفعلِ أمثالهم في كلّ زمانٍ ومكان؛ فذَكَر – عليه الصلاة والسلام –: أنه لا يخاف إلاّ الله؛ لتفرّده بالضرّ والنفع؛ بخلاف آلهتهم؛ لذلك ذكَر النفي والإثبات[٣١٥] .

أقسام الخوف من غير الله:

قال العلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: الخوف من غير الله على ثلاثة أقسام:

١. خوف السر: وهو: أن يخافَ من غير الله وثناً، أو ميتاً: أن يصيبَه بما يكره، كما قال تعالى عن قوم هود – عليه السلام –: أنّهم قالوا لـه:

---

(٣١٤) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" (١١٠/١)، للإمام ابن القيم، بتصرف واختصار.
(٣١٥) "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٦٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار.

((إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ))

[هود: ٥٤-٥٥] .

وهذا هو الواقع من عبّاد القبور، ونحوِها من الأوثان: أنهم يخافونها، ويخوّفون بها أهلَ التوحيد، إذا أنكروا عبادتَها، وأَمروا بإخلاصِ العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد [كلَّه] .

٢. أن يتركَ الإنسانُ ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، فهذا محرّم، وهو نوع من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد.

وهذا هو سبب نزول هذه الآيات: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))

[آل عمران: ١٧٣-١٧٥] .

٣. الخوف الطبيعي، وهو الخوفُ من عدو، أو سبع، أو غير ذلك، فهذا لا يُذم، كما قال تعالى في قصّة موسى - عليه السلام -: ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)) [القصص:٢١] الآية[٣١٦] .

---

(٣١٦) "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (٣٤٤-٣٤٥)، للعلاّمة عبد الرحمن آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار .

الخوف ليس عذراً في الوقوع في الردّة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قال: ((قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِه وسلَّم]، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ [صَلَّى اللَّهُ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِه وسلَّم]، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ [وهو الحَبْل الذي يُشَدُّ به الرَّحْلُ في بَطْنِ] نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِه وسلَّم]، تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَرَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِه وسلَّم] يَقُولُ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥ –٦٦]))[٣١٧].

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: فَإِذَا تَحَقَّقْتَ: أَنَّ بَعْضاً ممن كان مع الصَّحَابَةِ، الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَع رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وَصحبِه وَسَلَّمَ]، قد كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَزْحِ!!، آنذاك سيتبيّن لَكَ: أَنَّ الَّذِي يَتكَلَّمُ بِالْكُفْرِ، أوَ يَعْمَلُ بِهِ، خَوْفَا مِنْ نَقْصِ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لأَحَدٍ، أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا[٣١٨].

ولذلك، قال – رحمه الله –: ولا فرق فيمن وقع في نواقض الإسلام العشرة بين الهازل، والجاد، والخائف، إلاّ المكره، وكلّ هذه النواقض من أعظم ما يكون

---

(٣١٧) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (٥٤٥/١١) للإمام الطبري، و"تفسير ابن أبي حاتم" (١٠٠٤٧)، وصحّحه الشيخ مقبل الوداعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص١٠٩).
(٣١٨) "كشف الشبهات" (ص٢٥)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار.

خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً[٣١٩].

قال تعالى: ((أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)) [آل عمران: ١٦٢] .

قال العلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ: فلا يستوي عند الله مَن نصرَ توحيدَه ودعوتَه، وكان مع المؤمنين، مع من نصَر الشركَ ودعوةَ الأموات، وكان مع المشركين؛ فإن قالوا: (خفنا)!، قلنا لهم: كذبتم؛ فما جعل اللهُ الخوفَ عذراً في اتباعِ ما يسخطه، واجتنابِ ما يرضيه، وكثير من أهل الباطل: إنما تركوا الحقّ خوفاً من زوال دنياهم، مع: أنّهم يعرفون الحقَّ في قلوبهم، ولم يكونوا بذلك مسلمين[٣٢٠].

وقال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)) [العنكبوت: ١٠] .

قال – رحمه الله –: إذا سألتَ الذين أظهروا الموافقةَ للمشركين على دينهم: ما الذي دعاكم إلى ذلك؟؛ فإن قالوا: (خفنا)!!، قلنا لهم: كذبتم؛ فليس الخوف بعذرٍ دائماً؛ فلم يعذرِ اللهُ تعالى في الآية من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف؟!![٣٢١].

---

(٣١٩) "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٧)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

(٣٢٠) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٢٥/٨)، للعلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار.

(٣٢١) المصدر السابق (١٤٢/٨) .

وقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)) [مُحَمَّد: ٢٥-٢٨] .

قال - رحمه الله -: فالمرتد في الفتنة، غرّه الشيطان؛ فأوهمه: أن الخوفَ عذر لهم في الردّة، وأنّه بمعرفة الحقّ، ومحبتِه، لا يضرّه ما فعله!!، ونسَوا: أن من المشركين من يعرف الحقَّ، ويحبّه، ولكنهم يتركون متابعتَه، والعملَ به محبةً للدنيا، وخوفاً على الأنفس، والأموال، والمآكل، والرياسات[٣٢٢].

(٣٢٢) "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٨/١٣٥-١٣٦)، للعلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ، بشيء من التصرف والاختصار .

الإحتجاج بالإكراه، في ترك الصبر على التوحيد

قال تعالى: ((لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)) [آل عمران: ٢٨] .

قال العلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ: نهى اللهُ سبحانه في الآية المؤمنين عن اتخاذ الكافرينَ أولياءَ وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين، حتى وإن كانوا خائفين منهم، وأخبر تعالى: أنّ من فعل ذلك؛ ((فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ))، أي: لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة، ((إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً))، وهو: أن يكونَ الإنسان مقهوراً معهم، لا يقدر على عداوتِهم، فيُظهِر لهم المعاشرة، وقلبُه مطمئن بالبغضاء والعداوة، وانتظار زوال المانع، فإذا زال المانع رجع إلى العداوة والبغضاء .

أما من اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غيرِ عذر، إلاَّ استحباب الدنيا على الآخرة، والخوف من المشركين، وعدم الخوف من الله!!؛ فما جعل الله لهؤلاء عذراً[٣٢٣] .

معنى الإكراه، وشروطه:

قال العلاّمة ابن عثيمين: الإكراه، هو: إلزامُ الشخصِ بما لا يريد[٣٢٤] .

---

(٣٢٣)"الدرر السنية" (٨/١٢٣-١٢٤)، للعلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ، بتصرف واختصار.

(٣٢٤) "الأصول من علم الأصول" (ص٣٣)، للعلاّمة ابن عثيمين .

وقال الإمام ابن حجر[٣٢٥]: شُرُوطُ الإكْرَاهِ أَرْبَعَةٌ:

١. أَنْ يَكُونَ الذي هدّد بالإكراه قَادِرًا عَلَى إيقَاعِ مَا يُهَدِّدُ بِــهِ، وَالمُكرَه عَاجِزًا عَنِ دَّفْعِ الإكراه وَلَوْ بِالهرب .

٢. أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّ المكرَه: أَنَّهُ، إِذَا امْتَنَعَ أَوْقَعَ بِهِ المُهدِّدُ ذَلِك .

٣. أَن يكون ما هدّد بِهِ المهدِّد فَوْرِيًّا، أو لا يخلفه .

٤. أَنْ لاَ يَظْهَرَ على المكرَه مَا يَدُلُّ عَلَى رضاه، بل يكون مطمئن القلب بالإيمان[٣٢٦] .

نواقض الإسلام، والإكراه:

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب: ولا فرق فيمن وقع في نواقض الإسلام العشرة بين الهازل، والجاد، والخائف، إلاّ المكره، وكلّ هذه النواقض من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً[٣٢٧].

قال العلاّمـة عبد العزيز الراجحي: فهذه خمس حالات، أربعُ حالات يكفرُ

---

(٣٢٥) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، ثم المصري (٧٧٣-٨٥٢ هـ)، عالم، ومُحدِّث، لُقب بأمير المؤمنين في الحديث، ولع في بداية أمره بالأدب والشعر، ثم أقبل على علم الحديث، ورحل داخل مصر، وإلى اليمن والحجاز والشام وغيرها لسماع الشيوخ، وشرح صحيح البخاري في كتابه "فتح الباري"، وله العديد من المصنفات الأخرى، عدَّها السخاوي إلى (٢٧٠) مصنفًا، وقد صنف في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والتاريخ، ومن أشهر مؤلفاته: "تقريب التهذيب"، و"لسان الميزان"، و"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، ودرّس في أشهر المدارس في عهده .
المصدر: "الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" للإمام السخاوي، ومصادر أخرى .
(٣٢٦) يُنظَر "فتح الباري شرح صحيح البخاري" (٣١١/١٢)، للإمام ابن حجر، بشيء من التصرف والاختصار.
(٣٢٧) "الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٧)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بشيء من التصرف والاختصار .

بها، والخامسة لا يكفر .

الأولى: إن وقع في الناقض مازحاً هازلاً؛ فإنه يكفر .

الثانية: إن وقع في الناقض جادًّا؛ فإنه يكفر .

الثالثة: إن وقع في الناقض خائفاً، أي: مجردُ خوفٍ فقط؛ فإنه يكفر .

الرابعة: إن وقع في الناقض مكرهاً، واطمئن قلبُه بالكفر؛ فإنه يكفر .

فهذه الحالات الأربع يكفر من وقع فيها؛ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ: أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ مِنْهَا .

الخامسة: إن وقع في الناقض مكرهاً، واطمئن قلبُه بالإيمان؛ فإنه لا يكفر[٣٢٨] .

(٣٢٨) يُنظَر "شرح نواقض الإسلام" (ص٢٨-٢٩)، للعلاّمة عبد العزيز الراجحي، بشيء من التصرف والاختصار.

الخلاصة

١. سبيل النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، يكون بتحقيق (المسائل الأربع)، ومسألة (الصبر) هي خاتمتها .

٢. الابتلاءُ واقعٌ لا محالة، وفضلُ الصَبْر عليه ثابت في الكتاب والسنة .

٣. من لم يصبر على التوحيد، صار عدواً له .

٤. موافقة المشركين على دينِهم شرك أكبر، وكفرٌ، وردّة، وحتى لو كان في الظاهر، فقط، دون الباطن .

٥. موافقة المشركين على قسمين، فإن كانت بعذر الإكراه، فصاحبها معذور، وإن كانت لأجل الدنيا؛ فصاحبها مأزور .

٦. شروط الحنيفية وحالاتها، دالة على وجوب الصبر على التوحيد .

٧. يجب التصريح بالتوحيد، بالبراءة مما كان سبباً في كفرِ الطائفة الواقعة فيه .

٨. تجب الهجرة على كلّ من لم يستطع التصريح بالتوحيد .

٩. من الكفر: ترك الهجرة المؤدّي لموافقة المشركين على دينهم .

١٠. الهجرة من حقوق التوحيد، خاصةً عند العجز عن الصبر عليه .

١١. لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار، إلاّ بشروط قرّرها أهل العلم .

١٢. محبة الدنيا، هي من أعظم أسباب عدم الصبر على التوحيد .

١٣. محبة الدنيا، هي، كذلك من أعظم أسباب الردّة عن التوحيد .

١٤. العاقل، هو الذي يقدّم سلامة توحيدِه على ملذّات الدنيا .

١٥. الخوف من غير الله، من أعظم أسباب عدم الصبر على التوحيد .

١٦. الخوف ليس عذراً في الوقوع في الردّة .

١٧. الإكراه – بشروطه، وضوابطه الشرعية – عذرٌ في ترك الصبر على التوحيد.

خاتمة الرسائل الخمس

عَنْ قُرَّةَ بنِ إياس - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))[٣٢٩] .

قَالَ البخاري: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ[٣٣٠]: هُمْ أَصْحَابُ الحَدِيثِ[٣٣١] .

قال المُناوي: أي: لا تزال طائفة من أمة مُحَمَّد [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] غالبين منصورين، وفي ذلك معجزة بيّنة؛ فإن أهلَ السنّة والجماعة، لم يزالوا ظاهرين في كلِّ عصرٍ إلى الآن .

وأما أهل البدع على اختلافِ صنوفِهم، من (خوارج، ومعتزلة، ورافضة.. وغيرهم)؛ فلم يقم لأحدٍ منهم دولةٌ منصورة، ولم تستمر لهم شوكةٌ، بل ((كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)) [المائدة: ٦٤] .

وإنما أطفأها اللهُ بنور الكتاب والسنة؛ فللّه الحمد والمنة[٣٣٢] .

(٣٢٩) رواه البخاري (٣٦٤٠)، عن المغيرة بن شعبة، ومسلم (٣١٢)، و(٤٩٨٨)، و(٤٩٩٣)، عن جابر بن عبد الله، وثوبان، ومعاوية بن أبي سفيان، ورواه الترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجه (٦)، والسياق لهما، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن" .

(٣٣٠) هو الإمام أبو الحسن علي بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح (١٦١هـ - ٢٣٤هـ)، وُلِد في البصرة، وصار من أئمة الحديث، وهو من أكابر شيوخ البخاري .

(٣٣١) "سنن الترمذي" (٥٥/٤) .

(٣٣٢) "فيض القدير شرح الجامع الصغير" (٣٩٥/٦)، للمناوي .

مُلحَق..

مسائل في التكفير

تمهيد

قال العلاّمة صالح الفوزان: ليس معنى الاهتمام بالعقيدة: أننا نحكمُ على الناس: أنهم كفَّار، إنما نحن ندّرسها للمسلمين وللموحّدين، من أجل: أن يعرفوها تمامًا، وأن يعرفوا ما يناقضها وما يضادها، ولذلك كان حذيفة بن اليمان - ﷺ - يقول: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ: أَنْ يُدْرِكَنِي))[٣٣٣] .

وعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - ﷺ - يقول: قَدْ عَلِمْتُ - وَرَبِّ الْكَعْبَةِ - مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ...حِينَ يَسُوسُ أَمَرَهُمْ مَنْ لَمْ يُعَالِجْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَصْحَبِ الرَّسُولَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ][٣٣٤] .

فلذلك نحن نهتم بالعقيدة الصحيحة حتى نتمسّكَ بها، ونعرف ما يضادها حتى نتجنَّبه[٣٣٥] .

وقال الإمام ابن تيمية: إِنَّ الإمام أَحْمَد لَمْ يُكَفِّرْ أَعْيَانَ الْجَهْمِيَّة، وَلَا كُلَّ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ جهمي كَفَّرَهُ، وَلَا كُلَّ مَنْ وَافَقَ الْجَهْمِيَّة فِي بَعْضِ بِدَعِهِمْ؛ بَلْ صَلَّى

---

(٣٣٣) رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (٤٨١٢) .
(٣٣٤) رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٢٤٧٢)، والحاكم (٨٣٨٧)، وصحّحه، ووافقه الذهبي .
(٣٣٥) "المنتقى من فتاوى الفوزان" (١١/٢٢- ١٣)، للعلامة صالح الفوزان .

خَلْفَ الْجَهْمِيَّة الَّذِينَ دَعَوْا إلَى قَوْلِهِمْ، وَامْتَحَنُوا النَّاسَ، وَعَاقَبُوا مَنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ بِالْعُقُوبَاتِ الْغَلِيظَةِ؛ بَلْ كَانَ يَعْتَقِدُ إيمَانَهُمْ، وَإِمَامَتَهُمْ؛ وَيَدْعُو لَهُمْ؛ وَيَرَى الِائْتِمَامَ بِهِمْ فِي الصَّلَوَاتِ خَلْفَهُمْ، وَالْحَجَّ وَالْغَزْوَ مَعَهُمْ، وَالْمَنْعَ مِنْ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ .

وَلكنه يُنْكِرُ في الوقت نفسِه مَا أَحْدَثُوا مِنْ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ، الَّذِي هُوَ كُفْرٌ عَظِيمٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا هُمْ: أَنَّهُ كُفْرٌ؛ وَكَانَ يُنْكِرُهُ وَيُجَاهِدُهُمْ عَلَى رَدِّهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ؛ فَيَجْمَعُ بَيْنَ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي إظْهَارِ السُّنَّةِ وَالدِّينِ، وَإِنْكَارِ بِدَعِ الْجَهْمِيَّة الْمُلْحِدِينَ؛ وَبَيْنَ رِعَايَةِ حُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الْأَئِمَّةِ وَالْأُمَّةِ؛ وَإِنْ كَانُوا جُهَّالًا مُبْتَدِعِينَ[٣٣٦].

التكفير، وأقسامُه:

التكفيرُ، هو الحكمُ بالكفر[٣٣٧]، وهو على قسمين[٣٣٨]:

أولاً: التكفير الشرعي الصحيح .

ثانياً: التكفير البدعي الباطل .

---

(٣٣٦) يُنظَر "مجموع الفتاوى" (٥٠٧/٧-٥٠٨)، للإمام ابن تيمية .
(٣٣٧) مقالة "التكفير وضوابطه"، للعلاّمة صالح الفوزان، "صحيفة الجزيرة" ١٤٢٦/١/١هـ .
(٣٣٨) يُنظَر "شرح الطحاوية" (٤٣٢/٢-٤٣٦)، للإمام ابن أبي العزّ، و"فتاوى الإمام محمد بن إبراهيم" (٧٥/١) .

التكفير الشرعي، وأقسامُه:

التكفير الشرعي[٣٣٩]، هو: التكفيرُ الموافق للكتاب والسنة، والذي كان عليه سلفُ الأمة، وهو من أصول اعتقاد السلفيين الموحّدين، أهلِ السنة والجماعة، وهو على قسمين[٣٤٠]:

١. التكفير المطلق .

٢. تكفير المُعيَّن .

التكفير المطلَق:

التكفير المطلَق، هو: الحكمُ على الاعتقاداتِ، والأقوال، والأفعالِ الكفرية: بأنّها كفرٌ، وذلك لِمجيء الدليلِ على ذلك من الكتابِ، أو السنة، أو إجماعِ سلفِ الأمة[٣٤١] .

وهذا النوعُ واجبٌ على كلِّ مسلم: أن يصدرَه؛ والذي يمتنع عن إصدارِه - عالماً قاصداً -، أو يشكّ فيه، أو يتوقّف عنه؛ فقد كفرَ، ووقع في الناقض الثالث من نواقض الإسلام[٣٤٢].

---

(٣٣٩) يُنظَر "مجموع الفتاوى"(٢٨٢/٣)، للإمام ابن تيمية، و"الدرر السنية" (٩٠/١٠)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، و"شرح الطحاوية" (٤٣٧/٢-٤٣٨)، للإمام ابن أبي العز، ومقدمة "شرح الطحاوية" (ص٣١)، للعلاّمة عبد الله التركي .

(٣٤٠) يُنظَر "مجموع الفتاوى" (٢٣٠/٣)، و(٤٨٧/١٢- ٤٨٨)، للإمام ابن تيمية .

(٣٤١) يُنظَر"شرح الطحاوية" (٤٣٥/٢)، للإمام ابن أبي العزّ، و"الدُرر السنية" (١٠٢/١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

(٣٤٢) يُنظَر "مجموع الفتاوى" (٣٦٨/٢)، و(٥٠٠/١٢)، و"الصارم المسلول" (٥٨٦-٥٨٧)، =

والدليلُ قولُه تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ. وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)) [سورة الكافرون][٣٤٣].

فالسورة فيها التصريح للمشركين: بأنّهم على الكفر، وأنه بريء منهم، ومن دينهم[٣٤٤].

تكفير المعيَّن:

وهو إصدار الحكم على شخص بعينِه: بأنه كافر، أو مشرك، أو مرتد، وهذا النوع لا يَجوز إصدارُه، إلاّ بعد تحقّق شروط التكفير، وانتفاءِ موانعِه[٣٤٥].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قال: قال رسولُ الله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ]: ((إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا))[٣٤٦].

= كلاهما، للإمام ابن تيمية، و"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (٦١٠/٢)، للقاضي عياض، و"الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٤)، للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، و"شرح نواقض الإسلام" (ص١٠)، للعلاّمة الراجحي .

(٣٤٣) يُنظَر "كتاب التوحيد" (ص٩)، للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب .

(٣٤٤) يُنظَر "سبيل النجاة والفكاك" (ص٩٣)، للعلاّمة حمد بن عتيق .

(٣٤٥) يُنظَر "مجموع الفتاوى" (٢٣١/٣)، و (٣٧٢/١٠)، للإمام ابن تيمية، و"شرح العقيدة الطحاوية" (٤٣٦/٢-٤٣٧)، و"شرح كشف الشبهات" (ص٢٤)، للعلاّمة ابن عثيمين، و"فتوى هيئة كبار العلماء"، المنشورة في "مجلة البحوث الإسلامية"، (عدد: ٥٦)، (ص٣٥٧- ٣٦٢) .

(٣٤٦) رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (١٢٧) .

أي: يرجع الكفرُ إلى من حكم به أولاً، إذا أصدره بغير وجهِ حقّ[٣٤٧] .

شروطُ التكفير:

شروط تكفير المعيَّن أربعة[٣٤٨] :

١. وقوعُ المعيّن في الكفر الصريح المجمع عليه، لا بالمعاصي العملية، ولا بالمسائل الخلافية، أو الإجتهادية[٣٤٩] .

٢. علمُ المعيّن بالكفر، وتعمّده للوقوع فيه، قصداً، وإرادة .

٣. تفهيم المعيّن الحجّة، بحيث تنقطع شكوكُه، وشبهاتُه، ويظهر عنادُه[٣٥٠] .

٤. حكمُ العالم المجتهد على المعيّن بالتكفير عينياً[٣٥١] .

وعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أبي أُمَيَّةَ، قَالَ: ((دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رضي اللهُ عنه - وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا : حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ [صلى الله عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلم]، فَقَالَ : دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلّم] فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا : أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي

(٣٤٧) تُنظَر "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى" (٨٧- ٨٨)، للعلاّمة ابن عثيمين .
(٣٤٨) تُنظَر "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الأولى) (١/٣٣٤-٣٣٥)، للإمام ابن باز، و"لقاء الباب المفتوح" (١١/١٦)، للعلاّمة ابن عثيمين، و"فتوى هيئة كبار العلماء"، المنشورة في "مجلة البحوث الإسلامية"، (عدد: ٥٦)، (ص٣٥٧- ٣٦٢)، و"المنتقى من فتاوى الفوزان" (٣/٩)، للعلاّمة صالح الفوزان .
(٣٤٩) تُنظَر مقدمة الشيخ العلاّمة عبد الله التركي على "شرح العقيدة الطحاوية" (١/٣٠-٣١) .
(٣٥٠) يُنظَر "مجموع الفتاوى" (١٢/٤٦٦)، للإمام ابن تيمية .
(٣٥١) "المغني" (٩/١١)، للإمام ابن قدامة، و"المنتقى من فتاوى الفوزان" (٣/٩)، للعلاّمة صالح الفوزان .

مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلاَّ: أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا [يعني: ظاهراً] عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ، وَأَنْ نَقُومَ (أَوْ نَقُولَ) بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ))[٣٥٢] .

موانعُ التكفير:

موانع تكفير المعيّن أربعة[٣٥٣]:

١. الجهل، وهو: خلوُّ النفسِ مِن العلم[٣٥٤] .

٢. التأويل، وهو: الشبهةُ وسوءُ الفهم[٣٥٥] .

٣. الخطأ، وهو: عدمُ التعمّد، فينغلقُ فكرُه وقَصدُه، بحيث لا يدري ما يقول، لشدّةِ فرحٍ، أو حُزْنٍ، أو غضبٍ، أو خوف[٣٥٦] .

٤. الإكراه، وهو: إلزامُ الشخصِ بما لا يريد[٣٥٧] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضيَ اللهُ عنه – قال: قال رسولُ الله [صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم]: ((أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ؛ فَقَالَ: إِذَا أَنَا

---

(٣٥٢) رواه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (٤٧٩٩) .

(٣٥٣) يُنظَر "مجموع الفتاوى"(٢٣١/٣)، للإمام ابن تيمية، و"شرح كشف الشبهات" (ص٤٣-٤٦)، للعلاّمة ابن عثيمين، و"الدُرر السنية في الأجوبة النجدية" (١٠٤/١)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، و"فتوى هيئة كبار العلماء" المنشورة في "مجلة البحوث الإسلامية"، (عدد: ٥٦)، (ص٣٥٧- ٣٦٢) .

(٣٥٤) يُنظَر "فيض القدير" (٣٢٨/١)، للمُناوي، و"شرح كشف الشبهات" (ص٤٦)، للعلاّمة ابن عثيمين .

(٣٥٥) يُنظَر "شرح كشف الشبهات" (ص٤٣)، للعلاّمة ابن عثيمين .

(٣٥٦) يُنظَر المصدر السابق (ص٤٣) .

(٣٥٧) "الأصول من علم الأصول" (٣٣)، للعلاّمة ابن عثيمين .

مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلأَرْضِ : أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟؛ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ...، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ))[٣٥٨] .

قال الإمام ابن تيمية: فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ، بَلْ اعْتَقَدَ: أَنَّهُ لَا يُعَادُ، وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ كَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ[٣٥٩] .

حكم الجهل المتعمَّد:

الجهل الذي يتعمّده صاحبُه، هو (كفرُ الأعراض)، المخرجُ من الملّة، المخلِّدُ لصاحبِه في نار جهنم[٣٦٠] .

حكمُ التأويل المتقصَّد:

التأويلُ المتقصّدُ، تحريفٌ للكتاب والسنّة، وتلاعبٌ بهما؛ فلذلك، هو (كفرُ أكبر)، مخرجٌ من الملّة، مخلِّدٌ لصاحبِه في نارِ جهنّم[٣٦١] .

وأما (الإكراه)، فقد تكلّمنا عن شروطه، ومتى لا يُعذر الإنسان بإدعائه، في (ص١٩٩-٢٠١).

---

(٣٥٨) رواه البخاري (٧٥٠٦)، ومسلم (٧٠٨١) .
(٣٥٩) "مجموع الفتاوى" (٢٣١/٣)، للإمام ابن تيمية، بشيء من الاختصار .
(٣٦٠) يُنظَر "شرح كشف الشبهات" (ص٣٥)، للعلاّمة ابن عثيمين، و"الواجبات المتحتمات المعرفة" (ص٥)، و(ص٨)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .
(٣٦١) يُنظَر "تفسير آيات من القرآن الكريم" (ص٩٢)، للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، و"شرح العقيدة الطحاوية" (٤٤٧/٢)، للإمام ابن أبي العز .

أقسامُ المُعيَّنين بالنسبة لشروط التكفير، وانتفاء موانعِه:

أقسامُ المُعيَّنين في ذلك:

أولاً: المعيّن المنتسب للإسلام، المتكلّم بالشهادتين، ووقع في الشرك والكفر والردّة، وتحقَّقت فيه شروط التكفير كلِّها، وانتفت موانعُه كلُّها؛ فهذا يكفَّر عينيّاً، ويُعامل معاملةَ الكفّار تماماً، فهو: (مشرك، كافر، مرتد)، ونقول عن حكمِه في الآخرة: (إنْ مات على ذلك، فهو خالدٌ في النار)[٣٦٢]، قال تعالى: ((وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [البقرة: ٢١٧][٣٦٣].

ثانياً: المعيّن المنتسب للإسلام، المتكلّم بالشهادتين، ووقع في الشرك والكفر والردّة، ولكن لم تتحقّق فيه شروطُ التكفير كلُّها، ولم تنتفِ عنه موانعُه كلُّها؛ فهذا ننصحُه، ونصرّح ونبيَّن له خطورةَ وشناعةَ ما وقع فيه؛ فإن أصرَّ وعاندَ، زجرناه، وهجرناه، وبالغنا في الإنكار عليه، ونحذّر منه ومن حالِه، لكن يُعامَل معاملة المسلمين من حيث عصمة الدم والعرض والمال، ويقال عنه: (مسلم واقعٌ في كفر)، أو (مسلمٌ عنده كفر)، ويقال عن حكمِه في الآخرة: (أمرُه إلى

---

(٣٦٢) يُنظَر "الشرح الممتع على زاد المستقنع" (٣٠٧/١١)، للعلامة ابن عثيمين، و"مجموعة التوحيد" (ص٤١٣)، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

(٣٦٣) تُنظَر "الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك" (ص٣١)، للعلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ، و"كتاب التوحيد" (ص٣٦-٣٨)، للعلاّمة صالح الفوزان .

الله)، قال تعالى: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [التوبة: ١١٥][٣٦٤].

ثالثاً: (الكافر الأصلي)، وهو: المعيّن الذي لم ينتسب للإسلام، ولم يتكلّم بالشهادتين، كاليهود، أو النصارى، أو الصابئة، أو البوذيين؛ فهذا يُكفَّر عينياً مباشرةً دون الحاجة إلى تحقق شروط التكفير ولا انتفاء موانعه، ويُعامل معاملةَ الكفار، ويُقال عنه: (مشرك، كافر)، ونقول عن حكمِه في الآخرة: (إن مات على ذلك، فهو خالدٌ في النار)، أما بالمطلق، فنقول عنهم: (خالدون مخلّدون في النار)[٣٦٥]، عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسولُ الله [صلى الله عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلم]: ((أُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))[٣٦٦].

التكفير البدعي، وأقسامُه:

التكفير البدعي، هو: التكفير المخالفُ للكتاب والسنة، ولِما أجمع عليه سلفُ الأمــة، وهو الذي وقعت فيه الــخوارج، والــمرجئة، وغيرهما من الفــرق

---

(٣٦٤) يُنظَر "شرح كشف الشبهات" (٣٨-٣٩)، للعلاّمة ابن عثيمين، و"السلسلة الصحيحة" (١١٢/٧)، للعلاّمة الألباني .
(٣٦٥) "شرح كشف الشبهات" (ص٣٨)، للعلاّمة ابن عثيمين .
(٣٦٦) رواه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٣٤) .

الضالة[٣٦٧] .

وهو على قسمين :

١. التكفير البدعي عند الخوارج (التكفيريّين) .

٢. التكفير البدعي عند المرجئة (التميّيعيين) .

التكفير البدعي عند الخوارج:

التكفير البدعي عند الخوارج (التكفيريين) قسمان[٣٦٨]:

أ. بالنسبة للتكفير المطلق، يقول الخوارج: (مرتكبُ الكبيرةِ كافر)؛ فيُكفّرون بالمعاصي العمَلية، وليس بالكفر والشرك، فقط؛ كما عليه السلف الصالح – رضوان الله عليهم –.

ب. وبالنسبة لتكفير المعيَّن، يقول الخوارجُ: بتكفيرِ المعيَّن حتى ولو لم تتحقّق فيه شروط التكفير، ولم تنتفِ عنه موانعُه .

عَنْ أَبِي غَالِبٍ، قَالَ: ((رَأَى أَبُو أُمَامَةَ - رضي الله عنه - رُؤُوسًا [للخوارج] مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ؛ فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: كِلاَبُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)) إِلَى آخِرِ

(٣٦٧) يُنظَر "مجموع الفتاوى"(٢٨٢/٣)، للإمام ابن تيمية، و"شرح الطحاوية" (٤٣٤/٢- ٤٣٥)، لابن أبي العزّ.

(٣٦٨) يُنظَر "شرح الطحاوية" (٢/ ٤٣٤- ٤٣٥، و٤٣٨، و٤٤٢، و٤٤٤)، للإمام ابن أبي العزّ .

الآيةِ[٣٦٩] .

قُلْتُ لأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِه وصحبِه وَسَلَّمَ] قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلاَّ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا، أَوْ أَرْبَعًا - حَتَّى عَدَّ سَبْعًا - مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ))[٣٧٠] .

التكفير البدعي عند المرجئة:

التكفير البدعي عند المرجئة (التمييعيين) قسمان :

أ. يقول المرجئة: (لا كفر إلاّ كفر التكذيب)، فلا يكفّرون، إلاّ بتكذيب القلب لا بـ (الفعل، والقول، والاعتقاد، والترك، والشكّ)؛ كما عليه أهل السنّة والجماعة[٣٧١] .

ب. وبالنسبة لتكفير المعيَّن: يقول المرجئة بعدم تكفير المعيَّن، حتى ولو تحقّقت فيه شروط التكفير، وانتفت عنه موانعُه[٣٧٢] .

وصلّ اللّهم على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه، وسلّم

تمّت

---

(٣٦٩) قال تعالى: ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)) [آل عمران: ١٠٦] .

(٣٧٠) رواه الترمذي (٣٠٠٠)، وصحّحه الألباني في "صحيح السنن" .

(٣٧١) "كتاب فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء" (المجموعة الثانية) (١٣٤/٢) .

(٣٧٢) يُنظَر "شرح العقيدة الطحاوية" (٢/ ٤٣٢-٤٣٣، و٤٣٨)، للإمام ابن أبي العزّ .

المصادر، والمراجع، حسب ورودها في الكتاب

١. "صحيح مسلم"، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري .

٢. "سنن ابن ماجه"، للإمام ابن ماجه مُحَمَّد بن يزيد القزويني .

٣. "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .

٤. "مسند الإمام أحمد"، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني .

٥. "تمام المنة في التعليق على فقه السنة"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .

٦. "كشف الشبهات"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب .

٧. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، للإمام البقاعي .

٨. "الجامع لأحكام القرآن"، للإمام مُحَمَّد الخزرجي القرطبي .

٩. "ثلاثة الأصول وأدلتها"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب .

١٠. "مجموع الفتاوى"، للإمام ابن تيمية .

١١. "مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ"، للإمام نجم الدين بن قدامة المقدسي .

١٢. "شرح العقيدة الطحاوية"، للإمام ابن أبي العزّ .

١٣. "إعلام الموقعين عن ربّ العالمين"، للإمام ابن القيم .

١٤. "تفسير القرآن العظيم"، للإمام ابن كثير .

١٥. "المنتقى من فتاوى الفوزان"، للعلاّمة صالح الفوزان .

١٦. "المُسْتَدْرَكُ على الصَّحِيْحَيْن"، للحاكم مُحَمَّد النيسابوري .

١٧. "السنن الكبرى"، للإمام أبي بكر أحمد البيهقي .

١٨. "صحيح البخاري"، للإمام مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري .

١٩. "المعجم الكبير"، للإمام أبي القاسم الطبراني .

٢٠. "شرح القواعد الأربع"، للعلاّمة صالح الفوزان .

٢١. "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، للإمام القرطبي .

٢٢. "مذكرة في أصول الفقه"، للعلاّمة الشنقيطي .
٢٣. "الواجبات المتحتّمات المعرفة على كلّ مسلم ومسلمة"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب .
٢٤. "صحيح الترغيب والترهيب"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .
٢٥. "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد"، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
٢٦. "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية"، للإمام ابن تيمية .
٢٧. "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، للإمام ابن القيم .
٢٨. "التوقيف على مهمات التعاريف"، للمُناوي .
٢٩. "التعريفات"، للجرجاني .
٣٠. "لسان العرب"، لابن منظور .
٣١. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، للعلاّمة الشنقيطي .
٣٢. "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، للإمام ابن القيم .
٣٣. "شرح نواقض الإسلام"، للعلامة عبد العزيز الراجحي .
٣٤. "تفسير آياتٍ من القرآن الكريم"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب .
٣٥. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، للعلاّمة عبد الرحمن السعدي .
٣٦. "الرسائل الشخصية"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب .
٣٧. "ضابط كفر الإعراض"، فتوى للعلاّمة صالح آل الشيخ .
٣٨. "شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد"، للعلاّمة عبد العزيز الراجحي .
٣٩. "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، للإمام أبي عمر بن عبد

البرّ .
٤٠. "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الأولى)، جمع أحمد بن عبد الرزاق الدويش .
٤١. "مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهلَ الجاهلية"، للشيخ الإمام مُحَمَّد ابن عبد الوهاب .
٤٢. "شرح مسائل الجاهلية"، للعلامة صالح الفوزان .
٤٣. "المصنّف"، لإبن أبي شيبة .
٤٤. "شرح كشف الشبهات"، للإمام مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ .
٤٥. "أبرز الفوائد من أربع قواعد"، للشيخ زيد المدخلي .
٤٦. مقدّمة "شرح العقيدة الطحاوية"، للعلاّمة عبد الله بن عبد المحسن التركي .
٤٧. مقدمة "تنبيه أولي الأبصار"، للعلاّمة صالح الفوزان .
٤٨. "جامع تراث العلاّمة الألباني في المنهج"، جمع شادي بن مُحَمَّد آل نعمان .
٤٩. "جامع تراث العلامة الألباني في الفقه"، جمع شادي آل نعمان .
٥٠. "قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين"، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
٥١. "الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة"، لجمال بن فريحان الحارثي .
٥٢. "كتاب العلم"، للعلاّمة ابن عثيمين .
٥٣. "سنن الترمذي"، للإمام مُحَمَّد بن عيسى الترمذي .
٥٤. "التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية، لأئمة الدعوة السلفية"،

جمع: أحمد بن يحيى الزهراني .

٥٥. "صحيح وضعيف سنن النَسائي"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .

٥٦. "شرح السنة"، للإمام البغوي .

٥٧. "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .

٥٨. "سيرة عمر بن عبد العزيز"؛ لعبد الله بن عبد الحكم المصري .

٥٩. "شرح العقيدة الواسطية"، للعلاّمة مُحَمَّد بن صالح العثيمين .

٦٠. "التحفة العراقية في الأعمال القلبية"، للإمام ابن تيمية .

٦١. "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، للإمام ابن القيم .

٦٢. "الفوائد"، للإمام ابن القيم .

٦٣. "كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد"، للشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب .

٦٤. "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الثانية)، جمع أحمد بن عبد الرزاق الدويش .

٦٥. "التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .

٦٦. "دروس للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني" .

٦٧. "شرح كشف الشبهات"، للعلاّمة ابن عثيمين .

٦٨. "مصباح الظلام في الردّ على من كذب الشيخ الإمام"، للعلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ .

٦٩. "عيون الرسائل والأجوبة على المسائل"، للعلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ .

٧٠. "فتاوى نور على الدرب"، للعلاّمة ابن عثيمين .

٧١. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، للإمام الطبري .

٧٢. "سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك"، للعلاّمة حمد بن عتيق .
٧٣. "صحيح ابن حبان"، للإمام أبي حاتم البُستي مُحَمَّد بن حبان .
٧٤. "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .
٧٥. "الصحيح المسند من أسباب النزول"، للشيخ مقبل الوادعي .
٧٦. "العلل ومعرفة الرجال"، للإمام أحمد بن حنبل .
٧٧. "تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة"، للعلاّمة سليمان بن سحمان .
٧٨. "الفِصَل في الملل والأهواء والنحل"، للإمام علي بن حزم .
٧٩. "المعجم الأوسط"، للإمام أبي القاسم الطبراني .
٨٠. "الشريعة"، للإمام أبي بكر مُحَمَّد بن الحسين الآجُرِّيُّ .
٨١. "درء الفتنة عن اهل السنة"، للعلاّمة بكر بن عبد الله أبو زيد .
٨٢. "الفتاوى الكبرى"، للإمام ابن تيمية .
٨٣. "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة"، للإمام ابن باز .
٨٤. "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة"، للعلاّمة حافظ بن أحمد الحكمي .
٨٥. "مختصر العلو للعلي العظيم"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .
٨٦. "المخرج من الفتنة"، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .
٨٧. "صحيح وضعيف سنن الترمذي"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .
٨٨. كتاب الإيمان"، للإمام ابن منده .
٨٩. "حياة الألباني"، لمحمد الشيباني .

٩٠. "شهر في دمشق"، للأستاذ الأديب عبد الله بن خميس .
٩١. "التوسل.. أنواعه وأحكامُه"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .
٩٢. "دروس الشيخ صالح بن حميد" .
٩٣. "حاشية ثلاثة الأصول"، للعلاّمة عبد الرحمن بن قاسم النجدي .
٩٤. "الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية"، للإمام عمرُ البزَّارُ .
٩٥. "قطف الجني الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، للعلاّمة عبد المحسن العباد
٩٦. "شرح الأربعين النووية"، للعلاّمة عبد المحسن العباد .
٩٧. "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، للعلاّمة عبيد الله المباركفوري .
٩٨. "السنة"؛ للإمام مُحَمَّد بن نصر المَرْوَزِي .
٩٩. "الزهد"، للإمام أحمد .
١٠٠. "مختصر صحيح البخاري"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .
١٠١. "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، أبو نُعيم الأصبهاني .
١٠٢. "التفسير القيم"، للإمام ابن القيم .
١٠٣. "تفسير ابن أبي حاتم"، للإمام ابن أبي حاتم عبد الرحمن الرازي .
١٠٤. "زاد المعاد في هدي خير العباد"، للإمام ابن القيم .
١٠٥. "الاستقامة"، للإمام ابن تيمية .
١٠٦. "صحيح السيرة النبوية"، للعلاّمة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني .
١٠٧. "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية"، جمع: مُحَمَّد رشيد رضا .
١٠٨. "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للإمام البغوي .
١٠٩. "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"، جمع فهد بن ناصر السليمان .

١١٠. "الأصول من علم الأصول"، للعلاّمة ابن عثيمين .
١١١. "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، للإمام ابن حجر العسقلاني .
١١٢. "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، للمُناوي .
١١٣. مقالة "التكفير وضوابطه" للعلاّمة صالح الفوزان، المنشورة في "صحيفة الجزيرة" .
١١٤. "فتاوى ورسائل مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ"، جمع مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم
١١٥. "الصارمُ المسلول على شاتم الرسولﷺ"، للإمام ابن تيمية .
١١٦. "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض .
١١٧. "فتوى هيئة كبار العلماء" المنشورة في "مجلة البحوث الإسلامية"، (عدد: ٥٦) .
١١٨. "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى"، للعلاّمة ابن عثيمين .
١١٩. "لقاء الباب المفتوح"، للعلاّمة ابن عثيمين .
١٢٠. "المغني"، للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي .
١٢١. "الشرح الممتع على زاد المستقنع"، للعلاّمة مُحَمَّد بن صالح العثيمين .
١٢٢. "مجموعة التوحيد"، للعلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

المحتوى

تقديم فضيلة العلاّمة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ٥

المقدمة ٩

الرسالةُ الأولى: وجوب تعلم التوحيد ١٥

تمهيد ١٧

التربيةُ القرآنية، والنبويّةُ، تأمران بتعلّمِ التوحيدِ ودراستِه ٢٠

تَعلّمُ التوحيدِ، شرطٌ من شروطِ: (لا إلهَ إلاَّ الله) ٢٤

كفرُ الإعراض ٢٩

الإعراضُ عن التوحيد ٣٥

الفطرة السليمة، وتعلّم التوحيد ٣٨

الحذرِ من الاتكال على الأماني الكاذبة ٤١

التقصير في تعلّم التوحيد ٤٥

التهوين من تعلّم التوحيد ٤٩

أهلُ البدع، ومحاربتهم لمتون العقيدة ٥٢

كيف تتعلّم التوحيد، وكيف تدرسه؟ ٥٦

الشيخ الثقة المأمون ٥٩

التفاوت في تعلم التوحيد ٦٢

المناظرة في تعلّم التوحيد ٦٤

الخلاصة ٧١

الرسالةُ الثانية: التوحيد، ليس ترك الشرك، فقط ٧٣
تمهيد ٧٥
العبودية لله، قائمّة على (التركِ، والفِعل) ٧٧
الإيمان، وأنواع الناس فيه ٨٠
التوحيد: (تركٌ، وفعل) ٨٣
دعوة الأنبياء لأممِهم: أن التوحيد: (ترك، وفعل) ٨٦
من أقوال العلماء في: أن التوحيد: (ترك، وفعل) ٩٠
الخلاصة ٩٣
الرسالةُ الثالثة: وجوب العمل بالتوحيد ٩٥
تمهيد ٩٧
لا يكفي في التوحيد: الاعتقاد القلبي، فقط ٩٩
(العمل بالتوحيد) ١٠٢
شهادة: (لا إله إلا الله) بالقلب، وباللسان، وبالجوارح ١٠٥
الحنيفية: اعتقاداً، ونطقاً، وعملاً ١٠٨
أقسامُ الناس في: (العمل بالتوحيد) ١١٦
أهل البدع الذين قالوا: إنّ التوحيد اعتقاد قلبي، فقط؟ ١١٨
الكفرُ، يكون بالقلب، أو باللسان، أو بالعمل ١٢١
الخلاصة ١٢٥
الرسالة الرابعة: وجوب الدعوة إلى التوحيد ١٢٧
تمهيد ١٢٩
فضل الدعوة إلى الله ١٣١

الدعوة إلى التوحيد أولاً ١٣٤
دعوة الأنبياء، وأتباعهم إلى التوحيد ١٣٧
الدعوة إلى التوحيد، قبل الأخلاق، وتركِ الكبائر، وفعل السنن ١٤٢
كيفية الدعوة إلى التوحيد ١٤٥
ذمّ غشّ الدعاة لمدعويهم ١٤٩
ضوابط الرفق، وعدم التنفير ١٥١
الخلاصة ١٥٥

الرسالةُ الخامسة: وجوب الصبر على التوحيد ١٥٧
تمهيد ١٥٩
المسائل الأربع، ومسألة (الصبر) منها ١٦١
الابتلاءُ واقعٌ لا محالة، وفضلُ الصَبْر عليه ١٦٤
من لم يصبر على التوحيد، صار عدواً له ١٦٧
موافقة المشركين على دينِهم في الظاهر، دون الباطن ١٦٩
الحنيفية، والصبر على التوحيد ١٧٧
الهجرة عند العجز عن التوحيد ١٧٩
محبة الدنيا، من أسباب عدم الصبر على التوحيد ١٨٣
جواب من أشار بموافقة أهل الشرك، لأجل الدنيا ١٩٠
الخوف من غير الله، من أسباب عدم الصبر على التوحيد ١٩٥

الاحتجاج بالإكراه، في ترك الصبر على التوحيد ٢٠١
الخلاصة ٢٠٤
خاتمة الرسائل الخمس ٢٠٦
مُلحَق في مسائل التكفير ٢٠٧
تمهيد ٢٠٩
التكفير، وأقسامُه ٢١٠
التكفير الشرعي، وأقسامُه ٢١١
شروطُ التكفير ٢١٣
موانعُ التكفير ٢١٤
أقسامُ المُعيَّنين بالنسبة لتحققِ شروط التكفير، وانتفاء موانعِه ٢١٦
التكفير البدعي، وأقسامُه ٢١٧
التكفير البدعي عند الخوارج ٢١٨
التكفير البدعي عند المرجئة ٢١٩
المصادر، والمراجع ٢٢١
المحتوى ٢٢٩